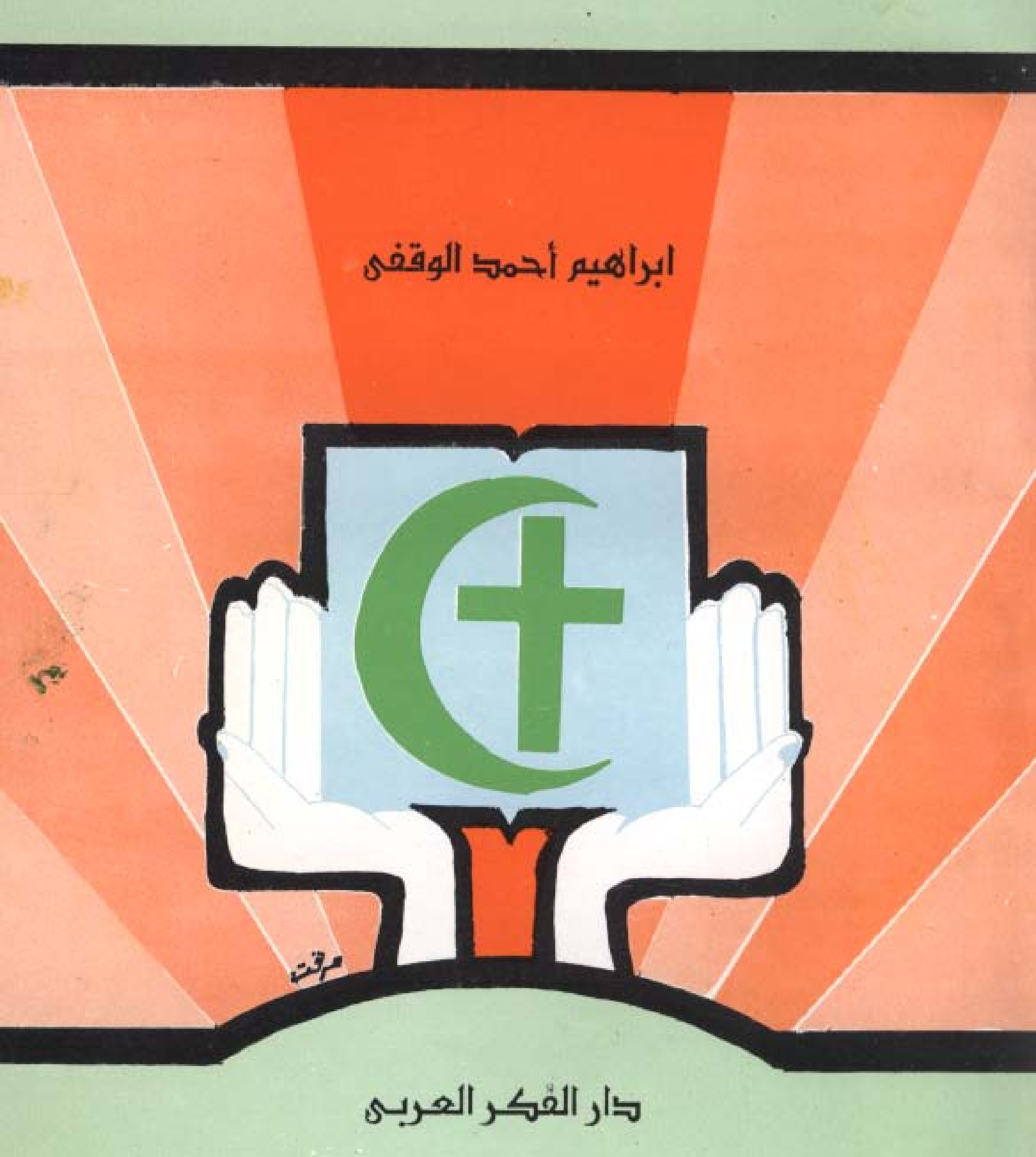
# السماحة فى الاسلام والمسيحية




دار الفكر العربى

# السماحة في الإسلام والمسيحية

إبراهيم أحمد الوقفي
من علماء الأزهر
وعضو مجلس الشورى السابق

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش جواد حسني - القاهرة
ص.ب ١٣٠ ت: ٣٩٢٥٥٢٣

# تقديم

## لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى
## مفتى الجمهورية

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ومن والاه .

وبعد ..

فقد وفقنى الله تعالى للاطلاع على كتاب : **( سماحة الإسلام والمسيحية )** لفضيلة شيخنا الأستاذ إبراهيم أحمد الوقفى .

وقد تحدث فيه فضيلته بأسلوب علمى رصين عن : موقف الإسلام من أهل الكتاب وعن حرية العقيدة ، وعن الميثاق الذى أخذه الله – تعالى – على النبيين ، وعن مظاهر سماحة الإسلام مع النصارى ، وعن اتفاق الأناجيل مع القرآن فى بعض الأحكام وعن أدب الحوار فى القرآن الكريم ، إلى غير ذلك من الموضوعات الهامة والنافعة .

وقد بذل فضيلة شيخنا الأستاذ إبراهيم أحمد الوقفى جهداً مشكوراً فى إبراز هذه الموضوعات بصورة علمية أمينة ، وبطريقة مزج فيها بين أحداث الماضى ، ووقائع الحاضر ، وآمال المستقبل .

نسأل الله – تعالى – أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسنات فضيلته .

وأن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

**د . محمد سيد طنطاوى**

مفتى الجمهورية

١٤١٠/٣/٣ هـ

١٩٨٩/١٠/٣ م

# مقدمة

الحمد لله الذى كرم الإنسان وفضله على كثير من خلقه واصطفاه لخلافته وأوجد له جميع ما فى الأرض لمنفعته وميزه بالعقل والفكر وأرسل إليه رسلا مبشرين ومنذرين يرشدونه إلى طريق الحق ويوجهونه إلى العدل والإحسان ويحذرونه سبل الهلاك واتباع الهوى والشيطان ويهدونه إلى ما فيه سعادته فى دنياه وفى آخرته — وبعد — فإنه مما دعانى إلى تأليف هذا الكتاب أمور أولها ما نشاهده فى هذه السنوات الأخيرة من حرب طاحنة مدمرة وإبادة شاملة فى لبنان ذلك البلد الذى حباه الله بجمال الطبيعة والذى كان يسمى بسويسرا الشرق والذى كان قمة الحضارة والتسامح والأمن . وثانيها تلك الفتنة التى تقع بين حين وآخر فى المجتمع المصرى بين بعض المواطنين من المسلمين والمسيحيين الذين عاشوا معاً مئات السنين فى مودة وتآلف ومحبة عميقة وتعاون على البر والتقوى وحسن الجوار ومشاركة وجدانية فى حب الوطن والدفاع عنه والوقوف صفاً واحداً فى محاربة أعدائه ومقاومة المستعمرين الطامعين فى خيراته والتضحية بالأنفس والأموال فى كل الحروب التى كان آخرها حرب العاشر من رمضان ( ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ م ) ، حيث اقتحم أبطال مصر مسلمين ومسيحيين حصن ( بارليف ) فى ساعات معدودة تحت راية الله أكبر وبذلوا دماءهم رخيصة لقهر الأعداء وأسقطوا أسطورة الجيش الذى لايغلب ،لايهابون موتاً حتى استردوا كرامة الوطن وعزته وتم لهم النصر وأعادوا كل شبر من أرض الوطن ، وإلى الأمة العربية مجدها وعزتها ، وثالث هذه الأمور هو ما وقع فى هذا العام من فتنة وإخلال بالأمن بين رجال الشرطة والجماعات الإسلامية فى بعض المحافظات وبخاصة فى قسم عين شمس وما ترتب عليها من اشتباكات عنيفة دامية واعتداءات منكرة بشعة ذهب ضحيتها قتلى وسالت فيها دماء طاهرة عزيزة واستشهد فيها شباب برىء من الجانبين .

والجميع من أبناء الشعب يعتقد أن أسباب هذه الفتن لم تنشأ عن عوامل داخلية وإنما هى واردة علينا من مؤامرات خارجية أحكم تدبيرها أعداء الوطن الواحد وبذروا بذور الطائفية فى ربوعه وتفتيت وحدته والقضاء على ما يتمتع به من هدوء وطمأنينة واستقرار ، وتخريب اقتصاده وتبديد سعادته ورخائه .

ونعتقد أيضاً أن كلا من مثيرى هذه الفتن جاهل بسماحة الأديان وبعيد عن معرفة أحكامها و أهدافها التى تدعو إلى المحبة والتعاون والتسامح والإخاء والتآلف والعفو، واتبع هواه وشيطانه فأصبح متطرفاً معتدياً أعماه الحقد وحجب عنه عقله وسيطرت عليه مؤامرات الحاقدين من الأعداء المتربصين بأمنه واستقراره .

ولهذه الأسباب آثرت تسمية هذا الكتاب بعنوان : ( سماحة الإسلام والمسيحية ) عسى أن يفهم كل أتباع دين سماوى حقيقة تعاليم دينهم ويلتزموا بها ويتركوا الطائفية العمياء والتعصب المرذول باسم الدين والدين من ذلك برىء .

والله تعالى أسأل أن يرحم هذا الوطن ويقيه شر هذه الفتن ويديم عليه أمنه وهدوءه واستقراره ويهدى الجميع إلى سواء السبيل .

**المؤلف**

## من رحمة الله بعبـــاده

خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين وأسجد له ملائكته واستخلفه فى الأرض وخلق ذريته من نطفة وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ويتعاونوا على الخير والبر والتقوى وعلى ما يحقق لهم الأمن والأمان ورغد العيش والطمأنينة ولم يخلقهم ليتقاتلوا ويهلك بعضهم بعضا، ويتعاونوا على الاثم والعدوان. فلا فضل لأحد منهم على أحد ولاتمييز لإنسان على آخر وأفضلهم عنده أنفعهم للبشرية ، ولم يتركهم يهيمون على وجوههم فى ظلمات الحياة يطغى بعضهم على بعض ويستعبد قويهم ضعيفهم بل وضع لهم منهجاً قويماً واضحاً ليتبعوه ويلتزموا به وخلقهم سبحانه لطاعته وعبادته ما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعموه ووعدهم على طاعته بالنعيم المقيم وبجنة عرضها السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ونهاهم سبحانه عن كل ما يعكر عليهم صفو حياتهم وما يوردهم موارد الهلاك ويلحق بهم الأذى ويعرضهم لسخطه وغضبه وما يقذفهم إلى عذابه ويقحمهم فى نيرانه ، وأرسل إليهم بهذا المنهج رسلا منهم مبشرين لمن أطاعه برضاه ورضوانه ومنذرين من عصاه بغضبه وعذابه :

**( وما من أمة إلا خلا فيها نذير )**[1] **( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين )**[2] .

---

(١) سورة فاطر آية ٢٤ .

(٢) سورة النحل آية ٣٦ .

## موقف الإسلام من أهل الكتاب

أهل الكتاب هم اليهود أتباع موسى عليه السلام الذى أنزلت عليه التوراة، وهم النصارى أتباع عيسى عليه السلام الذى أنزل عليه الإنجيل . وكلا الرسولين من أولى العزم من الرسل الخمسة المذكورين فى قوله تعالى :

**( وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً )** (١) .

وأتباع موسى وعيسى عليهما السلام أكثر سكان الأرض وخاتم الرسل هو محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه الذى أمره الله أن يقول لأهل الكتاب :

**( يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولـــوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون )** (٢) .

والمعنى : يا أهل الكتاب هلموا وأجيبوا إلى ما أدعوكم إليه وهو الكلمة المستقيمة التى ليس فيها ميل عن الحق، وهى : ألا نعبد إلا الله ولا نشرك معه شريكاً آخر فى العبادة ولانتبع أحداً فى تحليل شىء ولا فى تحريمه غير ما أحله الله وحرمه فإن أعرضوا ولم يستجيبوا لهذه الكلمة العادلة المستقيمة فقل ومعك أمتك : ( اشهدوا بأنا مسلمون ) أى متصفون متدينون بدين الإسلام منقادون لأحكامه معترفون بما لله علينا فى ذلك من الإنعام والمنن غير متخذين أحداً رباً سواه لا عزيرا ولا عيسى ولاالملائكة لأنهم مخلوقون كخلقنا ولا نقبل من الرهبان تحريمهم علينا ما لم يحرمه الله حتى لا نكون قد اتخذناهم أربابا .

ثم أمر سبحانه اليهود أن يحكموا بالتوراة وما أنزله فيها من تشريعات وأحكام فقال :

**( إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا**

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ٦٤ .

**والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا )**[١] ،

كما أمر سبحانه أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكام فقال :

**( وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه )**[٢].

ثم بعد ذلك يخاطب الله نبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه آمراً له بالحكم بما أنزله عليه فى القرآن الكريم فيقول :

**( وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون )**[٣] .

ومعنى هذه الآيات المذكورة أنه سبحانه جعل التوراة لأهلها والإنجيل لأهله والقرآن الكريم للناس جميعاً والأصل فى هذه الكتب الثلاثة هو التوحيد واختصاصه سبحانه بالعبادة له وحده .

**( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )**[٤] ،

ونلاحظ هنا أن الله تعالى جعل القرآن الكريم هو الحق المهيمن على صحة ما فى التوراة وما فى الإنجيل فهو سبحانه لم يتعهد بحفظ أى كتاب أنزله سوى القرآن الكريم حيث قال : **( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )** [٥] ، فالرسول محمد عليه

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

(٥) سورة الحجر آية ٩ .

الصلاة والسلام كان له كُتّاب يسجلون كل آية تنزل عليه عقب نزول ملك الوحى بها .

ولم يكن ذلك للتوراة ولا للإنجيل وهذا أمر مجمع عليه ولم يقع فيه خلاف . أما التوراة فقد وقع فيها التغيير والحذف والتبديل كما قال تعالى :

**( أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون )**[1] ، وقال : **( وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما يشترون )**[2] .

والإنجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام لم يكتب وقت نزوله وإنما كتب وسجل بعده بمئات السنين وكتب له الأحبار عدة نسخ لا نسخة واحدة .

---

(١) سورة البقرة آية ٧٥ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٨٧ .

## روابط الأديـــان

فيما سبق ذكرنا أن الأديان السماوية الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام لها هدف واحد يربطها ويجمع بينها، هذا الهدف هو الإيمان بإله واحد وإخلاص العبادة له دون ماسواه ، ومافيها من اختلاف ليس واقعاً على هذا الهدف وإنما هو مقتصر على الفروع والمناهج دون الأصول والأساس قال تعالى :

**( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)[١].**

وعقيدة التوحيد هى أول مبدأ دعا إليه الإسلام ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة فى مكة يدعو إليها وإلى محاربة الشرك وعبادة الأصنام وإنقاذ الإنسان من عبادة المخلوقات وتحرير عقله من العبودية لغير الله :

**( ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين )[٢] ،**

وسنذكر فيما بعد ما جاء فى التوراة وفى الإنجيل مما يؤيد هذه القاعدة الأساسية فى توحيد المعبود .

من مظاهر رحمة الله بخلقه أنه لم يفصل بينهم بفواصل تمزق وحدة البشرية وتقطع روابطهم وصلاتهم وإنما وضع روابط وصلات تجمعهم وتنشىء فى قلوبهم المحبة والإخاء وتجعل المودة بينهم قائمة وترفع عنهم كثيراً من مشاق الحياة ومتاعبها وتقوى الخلطة والتفاهم بين الإنسان وأخيه الإنسان فأحل للمسلمين أكل طعام أهل الكتاب وذبائحهم والزواج بنسائهم ، فقال سبحانه :

**( اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم )[٣] ،**

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٢) سورة الزمر آية ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) سورة المائدة آية ٥ .

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة أهم مقومات الحياة وأقوى ما يربط الناس بعضهم ببعض ويزيل من بينهم الفوارق ويمحو بذور العداوة والجفاء والبغضاء من قلوبهم ويربطهم بروابط فولاذية يصعب ويعسر القضاء عليها . وأهم هذه الروابط حل طعام المسلمين لغيرهم وحل طعام أهل الكتاب للمسلمين ثم إباحة زواج المسلمين من نساء أهل الكتاب .

ولابأس بشرح موجز لهاتين القاعدتين وتوضيحهما : (قال ابن عباس : يعنى بالطعام ذبائحهم وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء فذبائح اليهود والنصارى حلال للمسلمين أكلها لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ولايذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عنه تعالى وتقدس ، وثبت فى الصحيح أن أهل خيبر أهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مصلية وقد سموا ذراعها وكان يعجبه الذراع فتناوله فنهش منه نهشة فأخبره الذراع أنه مسموم فلفظه وأثر ذلك فى ثنايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أبهره وأكل معه منها بشر بن البراء بن معرور فمات فقتلت به اليهودية التى سمتهما . ووجه الدلالة فى هذه القصة أنه صلوات الله وسلامه عليه عزم على الأكل من الشاة ومن معه ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمه من شحمها أم لا [1] ، كما فى قوله تعالى :

**(وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أوما اختلط بعظم)** [2] وأما قوله : **(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)** [3] ،

فقد روى عن مكحول قال : نسخه الرب عز وجل ورحم المسلمين فقال : (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم . .) الآية ولهذا لم يبح أكل ذبائح من عداهم من أهل الشرك ومن شابههم من الشيوعيين لأنهم لايذكرون اسم الله على ذبائحهم ، فالمجوس وهم عباد النار لاتؤكل ذبائحهم ولاتنكح نساؤهم

---

(١) تفسير ابن كثير : جـ ٢ ، ص ١٩ .
(٢) الأنعام آية ١٤٦ .
(٣) الأنعام آية ١٢١ .

لقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنهم : ( سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير آكلى ذبائحهم ولاناكحى نسائهم ) وقد ورد قوله فى شأن أهل الكتاب : ( اتركوهم وما يدينون الخمر لهم كالخل عندنا والخنزير لهم كالشاة لنا ) . وقوله تعالى : ( وطعامكم حل لهم) أى ولكم أن تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائحهم وهذا من باب المكافأة والمقابلة والمجازاة .

وبهذه المناسبة نذكر أن اللحوم والطيور المذبوحة المستوردة من دول مسيحية أو يهودية يحل للمسلمين أكلها، وإذا كانت مستوردة من دول لادين لها كالدول الشيوعية تعتبر ميتة ولايحل لنا أكلها — وأتذكر أننى حينما كنت فى الخمسينات مبعوثاً للأزهر إلى لبنان أوقفنى شرطى شيعى يقف فى ميدان البرج فى بيروت وسألنى : هل لنا معشر المسلمين أن نأكل ذبيحة اليهودى أو النصرانى ؟ فقلت له : نعم يحل . قال : وما الدليل ؟ قلت له : قوله تعالى :

**( اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم )**

قال : ولكن الله تعالى قال :

**( لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة )**[1] ،

فهم عندنا يعتبرون كفاراً فلا يحل لناأكل ذبائحهم . فحيَّرنى هذا الاعتراض ووقفت لحظة أفكر فى الإجابة عنه وقال أيضاً :

**( وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله )** ،

فهم إذن مشركون غير الله معه فى العبادة . فسألته : هل هذا الإشراك منهم كان من قبل نزول القرآن أوبعده ؟ وهل كان الله سبحانه يعلم به أو لا يعلم ؟ فقال : كان هذا الإشراك منهم قبل نزول القرآن وكان الله يعلم به . فقلت : ورغم ذلك أحل الله لنا أكل ذبائحهم وأباح لنا الزواج من نسائهم، وذلك رحمة من الله لعباده المؤمنين وتيسيراً عليهم ورخصة لهم فلماذا ترفض رحمته ورخصته ولا تأخذ بها ؟ فاقتنع سيادته بهذه الإجابة .

---

(١) سورة البينة آية ١ .

قال الإمام القرطبي فى تفسير هذه الآية : الطعام اسم لما يؤكل والذبائح منه وهو ها هنا خاص بالذبح فذبيحة اليهودى والنصرانى حلال وإن كان يقول عند الذبح : باسم المسيح ، واليهودى يقول : باسم عزير ، وذلك أنهم يذبحون على الملة .

وقال عطاء : كلْ من ذبيحة النصرانى وإن قال باسم المسيح لأن الله عز وجل قد أباح ذبائحهم وقد علم ما يقولون . ثم يقول القرطبي : لاخلاف بين العلماء أن مالا يحتاج إلى ذكاة ( ذبح ) كالطعام والفاكهة والبر ( القمح ) لايضر فيه تملك أحد . . إلى أن يقول : رخص الله تعالى فى ذبائحهم على هذه الأمة وأخرجها النص عن القياس على ما ذكرنا من قول ابن عباس .

وكان الإمام مالك رحمه الله يكره ما ذبحوه إذا وجد ما ذبحه مسلم . وهذا منه تنزه . والحيوان المأكول الذى يموت بالخنق أو بالصعق الكهربى ونحوه لا يحل لنا أكله لأنه ميتة . والعلة فى هذا التحريم هو اختلاط الدم النجس باللحم وما يترتب على ذلك من أمراض خطيرة تصيب آكليه .

هذا وقد ذكر لنا سبحانه مالا يحل من الحيوانات وحصر ذلك فى إحدى عشرة حالة هى المذكورة فى قوله تعالى :

**( حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق )** [١].

والأصل الثانى فى الترابط بين المسلمين وغيرهم هو إباحة الزواج من نساء أهل الكتاب وهو ولاشك أعظم أثراً وأقوى صلة من إباحة الذبائح والطعام فالزواج أقوى الأواصر ولااختلاط أعظم من اختلاط الزوجين فالله تعالى وصف عقد الزواج بالغلظ دون سائر العقود فقال :

**( وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه**

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

**شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً * وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً )**[١] .

والزواج أيضاً سبب لتكوين الأسر وارتباط بعضها ببعض وبه يصبح الزوج فرداً من أسرة الزوجة وكذا الزوجة تصبح فرداً من أسرة الزوج حتى أن بعض الدول المتحضرة تنسب الزوجة إلى أسرة زوجها، وتسقط عنها اسم أسرتها الأصلية وترتفع الحواجز بين الأسرتين ولهذا امتن الله سبحانه على عباده بنعمة الزواج فقال :

**( والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات )**[٢] ، وقال : **( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون )**[٣] .

وقد روت بعض كتب التاريخ أن المأمون بن هارون الرشيد كانت أمه مسيحية وكان يذهب معها إلى الكنيسة ويجلس على بابها حتى تخرج منها ويصحبها إلى البيت. وليس للزوج المسلم أن يكره زوجته الكتابية على الدخول فى الإسلام فلا إكراه فى الدين ولها أن تتمسك بدينها وتبقى عليه دائماً والأولاد كلهم ينتسبون إلى الأب وهو ملزم بنفقتها ونفقة أولادها .

وهاتان الرابطتان بين المسلمين وأهل الكتاب هما من رحمة الله بعباده فهو يعلم أن بعض المسلمين سيضطرون إلى الإقامة والعيش فى دول غير إسلامية فلو لم يبح لهم الأكل من طعام أهل الكتاب لشق عليهم ذلك، وربما هلكوا وماتوا جوعاً وكذا لو لم يبح لهم الزواج من نسائهم لوقعوا فى فاحشة الزنا إلا من عصم الله وفسدت حياتهم وأيضاً يعلم أن بعض أهل الكتاب يعيشون فى دول إسلامية فلو لم يبح لهم الأكل من طعام المسلمين لماتوا جوعاً فالله تعالى رحيم بعباده .

---

(١) سورة النساء الآيتان ٢٠ ، ٢١ .
(٢) سورة النحل آية ٧٢ .
(٣) سورة الروم آية ٢١ .

## حـــرية العقيدة

العقيدة أمر خفى لا اطلاع عليه لأحد من البشر ولا علم به إلا لله وحده علام الغيوب الذى يعلم السر وأخفى ولاتخفى عليه خافية يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . وذلك لأن محلها القلب ، وما يستقر فيه من الاعتقادات سر اختص سبحانه بعلمه فإذا كان ما فى القلب مخالفا لما ينطق به اللسان فهذا هو النفاق وهو أخطر من الكفر وعذابه أشد من عذابه : ( **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** )[١] ووصف قلوب المنافقين بالمرض : ( **فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم ، بما كانوا يكذبون** )[٢] .

ولما كان الإيمان أمراً خفياً فى القلوب فالإكراه عليه لايتأتى فيه ولاتأثير له فيها ولذا قال سبحانه : ( **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** )[٣]

وروى عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً مايدعو : ( **يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك** ) **قلت**: يارسول الله ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء فقال : ( **ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين** من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه ، أما تسمعين قوله : ( **ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** )[٤] .

فترك سبحانه لكل إنسان الحرية والاختيار فى الإيمان أوضده : ( **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** )[٥] .

---

(١) سورة النساء آية ١٤٥ .
(٢) سورة البقرة آية ١٠ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٦ .
(٤) سورة آل عمران آية ٨ .
(٥) سورة الكهف آية ٢٩ .

وقد عاتب الله رسوله محمداً صلوات الله وسلامه عليه على شدة حرصه على هداية قومه واتباع ما أنزل الله عليه فى آيات كثيرة منها قوله تعالى :

**( فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا )** [١] ،

وقوله : **( لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين * إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين )** [٢]

والله تعالى لم يجعل هداية القلوب فى مقدور أحد من خلقه ولو كان رسولا ، ولو كان أشرف الخلق وأحبهم إليه حيث يخاطبه بقوله :

**( إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء )** [٣] .

وينهاه وينكر عليه بقوله :

**( ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون )** [٤]

ويقول : **( فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر )** [٥]

ويحصر سبحانه مهمة رسوله بقوله :

**( فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب )** [٦] .

ومما تقدم نعلم أن الله يوجب على عباده من أتباع الديانات السماوية الثلاث أن يلتزموا فى دعوتهم باللين والتعاطف والمودة والمحبة وأن يتركوا أمور الهداية إلى الهادى

---

(١) سورة الكهف آية ٦ .
(٢) سورة الشعراء آية ٣ ، ٤ .
(٣) سورة القصص آية ٥٦ .
(٤) يونس آية ٩٩ — ١٠٠ .
(٥) سورة الغاشية آية ٢١ ، ٢٢ .
(٦) سورة الرعد آية ٤٠ .

وأن يبتعدوا عن التطرف وأساليب الغلظة والفظاظة ومحاولة الإكراه والأذى والاعتداء على الأنفس والأموال وأماكن العبادة، فالإسلام فى غير حاجة إلى أن يكره إنساناً على الدخول فيه فهم فى هذا العصر فوق الألف مليون نسمة منتشرين فى أنحاء الكرة الأرضية، وإنما هم فى أشد الحاجة إلى الكيف ودعوة أنفسهم إلى تقوية الإيمان فى قلوبهم والتمسك بأحكام دينهم والتخلق بأخلاق قرآنهم ونبيهم وأن أعظم ما يخدم إسلامهم هو الأمن والهدوء والاستقرار والشعور بالطمأنينة وبالحرية ، وهذا هو السبيل الوحيد لانتشار الإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً، فالإسلام وصل إلى جنوب أفريقيا وانتشر فى شبه القارة الهندية بالقدوة الحسنة والمعاملة العادلة والأسوة الطيبة بهؤلاء التجار من المسلمين الذين لم يستعملوا سيفاً ولاشنوا حرباً وإبادة وإنما كانت قوتهم فى أخلاقهم وحسن معاملتهم وتمسكهم بتعاليم دينهم من الصدق والأمانة والعدل والإحسان وتجنبهم الفاحشة والمنكر والبغى حتى إن أعداءهم المستعمرين من المغول بقيادة هولاكو دخلوا فى هذا الدين بعد أن استولوا على بغداد وأحرقوا كتب العلماء وسدوا بها النهر وعاثوا فى الأرض قتلا وإفسادا وقضوا على مصادر العلم والثقافة، ولكن بعد أن خالطوا المسلمين ولمسوا ما هم عليه من سلوك وأخلاق طيبة وعدالة ومساواة ، اعتنقوا هذا الدين وعرفوا ربهم وعبدوه وحده . وحين فتح المسلمون بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد شمال أفريقيا والأندلس لم يكرهوا أحداً من أهلها على الدخول فى الإسلام وإنما دخلوا فيه لما رأوا فيه من عدالة الحكم ومساواة بين الناس لافرق بين حاكم ومحكوم ولا بين غنى وفقير. وازدهرت فى الأندلس الثقافة والحضارة الإسلامية ونبغ منهم علماء فى كل فن كالإمام القرطبى مؤلف الجامع لأحكام القرآن وابن رشد وابن سينا والفارابى وغيرهم ووضعوا أسساً للمخترعات الحديثة فى الطب والفلك والكيمياء والفلسفة وأنشأوا المعاهد والكليات الجامعية يفد إليها طلاب العلم والثقافة من كل فج مسلمين وغير مسلمين بلا تفرقة بين دين ودين، وأجروا عليهم النفقات وأقاموا لهم المساكن ثم رجعوا إلى بلادهم بما تزودوا به ونشروا فيها نور العلم وفتحوا أبصار قومهم على هذه الكنوز التى كانت هى الأساس للحضارة الأوروبية الحديثة .

وها نحن نشاهد فى هذا العصر انتشاراً للإسلام فى أوروبا وأمريكا ولاتكاد تخلو دولة من وجود آلاف المسلمين فيها والملايين أيضاً وذلك لبساطة الإسلام وعدالة أحكامه ووضوح تعاليمه .

وهذا الهدوء والاستقرار والسلام يحتاج إليه المواطنون المسيحيون وليسوا هم أيضاً فى حاجة إلى كثرة العدد فهم أضعاف أضعاف المسلمين وعندهم الأرصدة الضخمة وضريبة خاصة لتشجيع المبشرين سنوياً للتبشير بدينهم وخاصة هؤلاء الذين لا دين لهم فى الأدغال وفى جنوب أفريقيا . ورغم مجهوداتهم الضخمة ونشاطهم المؤيد من الدول الغربية لانكاد نسمع عن مسلم استجاب لهم وتأثر بدعوتهم وترك دينه إلى دينهم .

وأذكر بهذه المناسبة أننى حينما كنت طفلا فى كتّـاب لتحفيظ القرآن الكريم فى حوالى سنة ١٩٢٥ م زارنا عدد من الأجانب من ركاب السفن النيلية ووزعوا علينا كتباً باللغة العربية للتبشير وفى اليوم التالى عقدوا فى القرية اجتماعاً عاماً ووقفوا وسط الحلقة وأعلنوا أنهم يدفعون مائة جنيه لكل من يستجيب لدعوتهم ويعلن اعتناقه للمسيحية وخروجه عن دين الإسلام ، فلم يتقدم لهم إلا شاب من أفقر الفقراء وأخذوه معهم إلى الباخرة وسجلوا اسمه ودفعوا له النقود ثم تركوه . وهذا المبلغ كانت قيمته وقتئذ ثمناً لفدانين من الأرض، ثم لما رجع عوتب فيما فعله فقال فى سخرية : أنا لم أعطهم شيئاً إلا كلمة باللسان أما قلبى فهو عامر بالإيمان وأنا فقير وفى أشد الحاجة إلى هذا المبلغ الضخم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

إن المسلمين مكلفون بالدعوة إلى دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار بالحجة والعقل والبرهان وترك المجادلة بالعنف والغلظة ولا يمكنهم التخلى عن ذلك إلى أن تقوم الساعة ، وكذا المسيحيون مكلفون أيضاً بالدعوة إلى دينهم والتبشير به فى نفس هذا الإطار والنظام والبعد عن الإثارة والأذى والعدوان، والمبشرون من علمائهم منتشرون فى كل دول العالم الإسلامية وغير الإسلامية وأتباع هاتين الطائفتين ملتزمون بتعاليم دينهم من غير اعتراض من إحدى الطائفتين على الأخرى وبذلك يعيش الجميع فى مودة وألفة وإخاء وتعاون على البر والتقوى .

أما الطائفة الثالثة من أتباع الديانات السماوية وهم اليهود فهم يغلقون الأبواب على أنفسهم ويعتقدون أنهم شعب الله المختار ولايعترفون بأحد يدّعى اليهودية إلا إذا أثبت أنه من أب يهودى وأم يهودية كما يعتقدون أن غير اليهودى من الناس هم قطيع من الغنم وأن اليهود هم الذئاب كما جاء ذلك فى البروتوكول الحادى عشر من بروتوكولاتهم التى وضعها حكماء وفلاسفة صهيون فى مؤتمرهم الذى عقدوه فى سنة ١٨٩٧ فى مدينة بال بسويسرا .

## تعاطف الإسلام مع المسيحية

من أوائل ما أنزله الله تعالى على نبيه وخاتم رسله محمد صلوات الله وسلامه عليه قوله :

**( ألم * غلبت الروم * فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون )** (١) .

هذا التعاطف بين الإسلام والمسيحية ليس حديثاً بل هو موجود منذ أن بدأ الإسلام دعوته فى سنواته الأولى وهو أيضاً لم ينقطع فى أى عصر من العصور بل هو باق بمشيئة الله إلى أن تقوم الساعة ولا تقوم الساعة قبل أن ينزل نبي الله عيسى ابن مريم ويدعو الناس إلى الإسلام .

وهذه الآيات الكريمة أنزلها الله على رسوله عليه الصلاة والسلام وهو بمكة حين غلب ( سابور ) ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من أقاصى بلاد دولة الروم حتى اضطر ملكهم إلى الالتجاء إلى القسطنطينية وحاصره سابور فيها مدة طويلة ثم عادت السنين وانتصر هرقل على سابور كما تحدثت به الآيات الكريمة وسميت السورة سورة الروم .

روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كانت فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم فلما نزلت هذه الآيات الكريمة قال المشركون : يا أبا بكر إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس فى بضع سنين ، قال لهم أبو بكر : صدق ، قالوا : هل لك أن تقامر ؟ فبايعوه على أربع قلائص ( نوق ) إلى سبع سنين فمضت السبع ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك فشق على المسلمين فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما بضع سنين عندكم ؟ قالوا :

---

(١) سورة الروم الآيات ١ — ٥ .

ما دون العشر فقال لأبي بكر : فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل . قال : فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك .

وقال عطاء الخراسانى : حدثنى يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلا يدعى فطمة بجيش من الروم وبعث كسرى شهر يراز فالتقيا بين أذرعات وبصرى فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ففرحت بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون . قال عكرمة : ولقى المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله تعالى : **( الم غلبت الروم فى أدنى الأرض . . )** إلى قوله : **( وعد الله لايخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون )** فخرج أبوبكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ولايقرنّ الله أعينكم فوالله ليظهرن الله الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم . فقام إليه أُبي بن خلف فقال : كذبت يا أبا فضيل . فقال له أبو بكر : أنت أكذب ياعدو الله . واتفقا على رهان عشر قلائص . وذلك على ثلاث سنين قبل أن يحرم الله الرهان . ثم جاء أبوبكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فطلب منه الزيادة فى الرهان والمد فى الأجل . فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال له : لعلك ندمت ، فقال أبي : لا ، تعال أزايدك فى الخطر وأمادك فى الأجل فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين . قال : قد فعلت ، فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فغلبهم المسلمون .

قال العلاء بن الزبير القلابى يحدث عن أبيه قال : رأيت غلبة فارس على الروم ثم رأيت غلبة الروم على فارس ثم رأيت غلبة المسلمين على فارس والروم ، كل ذلك فى خمس عشرة سنة (١).

ومن أعظم آيات التعاطف والتآلف والمودة وحسن الجوار بين المسلمين والمسيحيين قول الله تعالى : **( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين**

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ، ص ٤٢٢ وما بعدها .

**أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . . )** الآيات إلى قوله : **( وذلك جزاء المحسنين )** فوصف سبحانه النصارى — وهو أعلم بما فى قلوبهم — بأجمل الصفات وأحسن الأخلاق ، وصفهم بالعلم والعبادة والخضوع للحق وعدم التكبر عن قبوله . . والتواضع .

وإن قال قائل : إن هذه الآية : نزلت فى وفد خاص من نصارى نجران وليست عامة فهذا القول مردود بما أجمع عليه علماء أصول الفقه على أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فكل من اجتمعت فيه هذه الأوصاف تشمله هذه الآية وتتناوله .

ثم وصفهم سبحانه فى سورة الحديد بقوله :

**( ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة )** [1].

وقصة المهاجرين من المسلمين إلى الحبشة مشهورة وهى أول هجرة فى الإسلام وذلك حين اشتد عليهم البلاء وتعذيب مشركى مكة لهم فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم وقال لهم : ( لوخرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لايظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ) وملكها وقتئذ النجاشى ( أصحمة ) ، قال ابن إسحاق : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ثلاثة وثمانون رجلا سوى أبنائهم الصغار والذين ولدوا بها وفيهم عبد الله بن مسعود وجعفر بن أبى طالب وأبو موسى — ولما علمت قريش بعثوا وراءهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وجمعوا للنجاشى وللبطارقة هدايا أرسلوها معهما فأتياه بالهدايا فقبلها وسجدا له ثم قال له عمرو : إن أناساً من أرضنا ، رغبوا عن ديننا وهم فى أرضك ، قال لهما النجاشى : فى أرضى؟ قالا : نعم ، فبعث إليهم فقال جعفر : لا يتكلم أحد فأنا خطيبكم اليوم ، فانتهوا إلى النجاشى وهو جالس فى مجلسه وعمرو عن يمينه وعمارة عن يساره والقسيسون جلوس حوله وقد قال له عمرو إنهم لايسجدون لك . . فلما دخلوا عليه بادرهم من عنده بقولهم : اسجدوا

(١) الآيـــــــــــــة ٢٧ .

للملك ، فقال جعفر ، لا نسجد إلا لله ، فقال النجاشي : وما ذاك ؟ قال جعفر : إن الله بعث فينا رسولا وهو الرسول الذى بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه أحمد فأمرنا أن نعبد الله ولانشرك به شيئاً ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر . فأعجب قوله النجاشي ، فلما رأى ذلك عمرو ابن العاص قال : أصلح الله الملك إنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم ، فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبكم فى ابن مريم ؟ قال : يقول فيه قول الله هو روح الله وكلمته أخرجه من العذراء البتول التى لم يقربها بشر .

فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه وقال : يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما نقول فى ابن مريم ولا وزن هذه ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذى بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه ، امكثوا ما شئتم . وأمر لنا بطعام وكسوة وقال : ردوا على هذين هديتهما .

وقد قص الله علينا فى كتابه العزيز قصة عيسى عليه السلام وأمه مريم العذراء البتول الطاهرة وأمها حنة بنت فاقود جدة عيسى عليه السلام فى آيات كثيرة بلغت حوالى الستين آية بما لا يخالف ما ورد فى الأناجيل،وذلك فى سور عدة سمى إحداها آل عمران وسمى الأخرى بسورة مريم ، ذكر سبحانه فيها كيفية ولادة مريم لعيسى عليه السلام وحملها به من غير أن يمسسها بشر وحياته ومعجزاته ما لم يذكر مثله لخاتم الأنبياء والمرسلين محمدصلوات الله وسلامه عليه فلم يذكر القرآن الكريم شيئا عن أمه آمنة بنت وهب ولاشيئاً عن والده عبد الله ولا جده عبد المطلب . اقرأ إن شئت فى سورة آل عمران قوله تعالى :

**( إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى — والله أعلم بما وضعت — وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها**

**من الشيطان الرجيم . . )**[1]

الآيات إلى أن يقول سبحانه وتعالى :

**( وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين )**[2] .

يقول الإمام القرطبي فى تفسيره لهذه الآيات : ظاهر القرآن والحديث يقتضى أن مريم أفضل من جميع نساء العالم من حواء إلى آخر امرأة تقوم عليها الساعة فإن الملائكة قد بلغتها الوحى عن الله عز وجل بالتكليف والإخبار والبشارة كما بلغت سائر الأنبياء فهى إذن نبية والنبي أفضل من الولى فهى أفضل من كل النساء الأولين والآخرين مطلقاً ثم بعدها فى الفضيلة فاطمة ثم خديجة ثم آسية . وكذلك رواه موسى ابن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية ) وهذا حديث حسن يرفع الإشكال . وفى حديث آخر عن ابن عباس أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم فاطمة وخديجة ) .

ثم يقول الإمام القرطبي : وقد خص الله مريم بما لم يؤته أحداً من النساء وذلك أن روح القدس كلمها وظهر لها ونفخ فى درعها ودنا منها للنفخة فليس هذا لأحد من النساء. وصدقت بكلمات ربها ولم تسأل آية عندما بشرت كما سأل زكريا عليه السلام ولذلك سماها صديقة فى تنزيله فقال : ( وأمه صديقة ) وقال : **( وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين )**[3]، وكثير من علماء التفسير لم يوافقوا القرطبي فى رأيه بنبوة مريم .

وفى معرض الكلام عن اليهود ونفى ادعائهم قتل المسيح عيسى يقول الله تعالى :

---

(١) الآيات من ٢٣ — ٢٦ .

(٢) الآيتان ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) سورة التحريم آية ١٢ .

**( وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم )[١]** ،

أى فبسبب كفرهم بالمسيح عيسى عليه السلام واتهامهم لأمه مريم بالحمل به سفاحاً من يوسف النجار وكان يوسف من الصالحين فنفى سبحانه قتلهم لعيسى رسول الله ولكن ألقى شبهه على يهوذا الإسخريوطى الذى سعى لدى الروم فى قتله ونجاه الله من مكرهم ورفعه إلى السماء . ثم ينهى الله اليهود عن الغلو فى أمر عيسى حتى قذفوا مريم ورموها بالفاحشة وينهى أيضاً النصار عن الغلو فى عيسى عليه السلام حتى جعلوه ربا .

وفى آيات أخرى يذكر سبحانه معجزات عيسى عليه السلام فيقول عن لسانه لبنى إسرائيل :

**( إنى جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين )[٢]** .

ويكفى ما ذكرناه من الآيات القرآنية فى شأن عيسى عليه السلام وأمه واهتمام الله سبحانه بذكر رسالته ومعجزاته .

وفى ختام هذا الكلام فى الاستدلال على تعاطف الإسلام مع المسيحية نورد بعض الأحاديث النبوية فى شأن عيسى وأمه عليهما السلام ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الأولى والآخرة ) قالوا : كيف يارسول الله ؟ قال : ( الأنبياء إخوة من عَلات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بينى وبينه نبى ) قال العلماء : أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى وأولاد الأعيان هم الإخوة لأبوين .

---

(١) سورة النساء آية ١٥٧ .
(٢) سورة آل عمران آية ٤٩ .

وقال الجمهور : معنى الحديث أن أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون فى أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فقد وقع فيها الاختلاف .

وعن أبى هريرة أيضاً رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( مامن مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه ) ثم قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : ( وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) وفى صحيح الإمام مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة قال : سمعت أبا ذر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحما ) وفى رواية : ( إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما ) أوقال (ذمة وصهرا) أما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم وأما الصهر فلكون أم إبراهيم منهم . وأوصى صلوات الله وسلامه أيضاً بالقبط فقال : ( من آذى ذمياً فقد آذانى ) وفى رواية : ( من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة ) وفى حديث آخر : ( إذا فتحتم مصر فاتخذوا من رجالها أجناداً فإنهم خير أجناد الأرض وهم فى رباط إلى يوم القيامة ) .

وفى ختام الكلام فى هذا المعنى نذكر ما ذكره الله فى كتابه العزيز على لسان عيسى عليه السلام :

**( يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم )**(١) .

وقوله تعالى على لسانه أيضاً مبشراً بمحمد عليه الصلاة والسلام :

**( يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد )**(٢) .

---

(١) سورة المائدة آية ١١٥ ، ١١٦ .
(٢) سورة الصف آية ٦ .

ويقول سبحانه فى سورة المائدة :

( وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم )[١] .

---

(١) الآيتان ٧٢ ، ٧٣ .

## عداوة اليهود للمسلمين

قال تعالى :

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾[1] ،

عبر سبحانه بالفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار وأكده فى أوله بلام القسم وفى آخره بنون التوكيد الثقيلة ووصفهم سبحانه بشدة العداوة للمؤمنين لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وقربهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الأنبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم العداوة لهم ، وقدم اليهود على المشركين بعد اشتراكهم فى العداوة للمسلمين إيذاناً بتقدمهم عليهم فى العداوة .

قال اليهود : سمى يعقوب بإسرائيل لأنه صرع الإله أى تغلب عليه كما جاء فى التوراة : ( فسأله الرب بعد الصراع الذى جرى بينهما : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال الرب : اسمك لم يبق يعقوب ، سيكون اسمك : ( أصرع الإله ) ( أى إسرائيل ) لأنك تصارعت مع الإله ومع الرجال فكنت غالبهم ) .

ويعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وجميع الأنبياء بعد إبراهيم من ولد يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام وجميعهم جاءوا بعقيدة التوحيد الخالص لله وإفراده بالعبادة .

وكثرة الأنبياء إليهم لا لفضيلة فيهم وإنما لكونهم مشهورين بالمعاندة والمكابرة غير مستقرين ولا ثابتين على حالة واحدة فهم شعب صعب المراس مشاكسون مجادلون ولذا كثر فيهم الأنبياء .

وقد أورد لنا القرآن الكريم كثيراً من أخبارهم ووصف لنا سوء أخلاقهم وسلوكهم مع أنبيائهم وتاريخهم الأسود فى مواضع كثيرة وفى أساليب متنوعة ما لم يرد مثله عن

---

(١) سورة المائدة آية ٨٢ .

أية أمة أو رسول من الرسل والأمم السابقة كى نأخذ حذرنا منهم ولا نقلدهم فى شيء من قبائحهم ومكرهم .

وقد ميزهم الله عن جميع الأمم التى عاصرتهم وأنعم عليهم بما لم ينعم بمثله على غيرهم إذ نجاهم من فرعون وبطشه وجعل منهم أنبياء وملوكاً وأطعمهم المن والسلوى وفجر لهم الماء من الحجر وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين. ورغم ذلك جحدوا هذه النعم ولم يشكروا المنعم بها عليهم وعصوا أنبياءهم وكلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم كذبوه أو قتلوه ، فقتلوا زكريا وابنه يحي عليهما السلام كما قتلوا غيرهما وكذبوهم فيما أتوا به إليهم ، قال تعالى :

**( أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون )**[1] .

ولم يسلم من أذاهم حتى نبيهم موسى عليه السلام حيث اتهموه بعيب فى جسمه فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ،واتهموه بقتل أخيه هارون فأحياه الله ونفى لهم اتهامهم لأخيه موسى بقتله .

(١) سورة البقـــرة آية ٨٧ .

## من قبــائح اليهــود

ذكر الله لنا فى القرآن الكريم كثيراً من قبائح اليهود وأعمالهم السيئة منها :

١ — قولهم لنبيهم موسى عليه السلام : ( أرنا الله جهرة ) حتى يصدقوه ويؤمنوا به وكانت نتيجة هذا الطلب القبيح إنزال صاعقة عليهم أهلكتهم ، قال تعالى :

**( وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون )**(١) .

٢ — تحريف التوراة والتغيير والتبديل فيها فالتوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام مفقودة والتوراة الحالية دخلها التغيير والحذف وكتبت فى عصور مختلفة وهى مملوءة بالوصلات والأخلاط والحكايات الملفقة المصنوعة بعد حدوثها (٢) . والله يقول فى هذا المعنى :

**( أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون )**(٣) .

٣ — عبادتهم للعجل بعدما تركهم موسى عليه السلام لذهابه إلى مناجاة ربه قال تعالى :

**( وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون )**(٤) .

٤ — طلبهم من نبيهم موسى أن يتخذ لهم إلهاً آخر غير الله بعد نجاتهم من الغرق ومن ظلم فرعون وتعذيبه لهم ، قال تعالى :

**(وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة )**(٥) .

---

(١) سورة البقرة آية ٥٥ .

(٢) من كتاب اصول الصهيونية وآمالها ص ١١ .

(٣) سورة البقرة آية ٧٥ .

(٤) سورة البقرة آية ٥١ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

٥ — العناد والمكابرة وكثرة الجدال والتكبر عن سماع الحق وقبوله ، فهم من طبيعتهم عدم الإذعان والتسليم بما جاء به رسلهم ،ويدل على ذلك ما قصه الله علينا فى سورة البقرة حين وجدوا بينهم قتيلا يدعى ( عاميل ) لم يعرفوا له قاتلا فطلبوا من موسى عليه السلام أن يبين لهم ذلك القاتل فأمرهم بذبح بقرة فلم يذعنوا له وقالوا ( أتتخذنا هزوا ) وأخذوا يمطرونه بالأسئلة عن عمرها وعن لونها وعملها وشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم .

ونحن شاهدنا فى السنوات الأخيرة تلك المفاوضات التى استغرقت سنوات طويلة حول ( طابا ) ولم يرضخوا للحق إلا بعد قرار محكمة العدل الدولية بكونها مصرية .

٦ — قساوة القلب ، فقلوبهم خاوية من اللين والعطف لا تعرف الرحمة والشفقة إليها سبيلا ولاتعرف الإذعان للحق مهما كان واضحاً وكذا لاتعترف بمعجزات الأنبياء فبعد أن أحيا الله لهم القتيل ونطق باسم قاتله وسمعت كلامه آذانهم وأبصرته عيونهم رغم كل هذا بقيت قلوبهم قاسية جاحدة معجزة نبيهم . قال تعالى :

**( ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله )** [1] .

٧ — النفاق وإظهار ما يخالف ما فى قلوبهم فقد أظهر بعضهم الإسلام وكان يحضر مجالس الرسول مع صحابته ويخالطهم حتى يطلع على أسرارهم ويقف على أحوالهم وأخبارهم ويكون جاسوساً لقومه ينقل إليهم عورات المسلمين ، قال تعالى :

**(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون )** [2] .

---

(١) سورة البقرة آية ٧٤ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤ .

٨ — شراؤهم بالتوراة ثمناً قليلا فعلماؤهم لم يقوموا بالوفاء بالعهد الذى أخذه الله عليهم من بيان ما فى التوراة للناس وبذل العلم لهم وفاء بعهده معهم ، قال تعالى :

**(وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما يشترون )** [1].

٩ — تكذيبهم وقتلهم لرسلهم فقد عاملوا أنبياءهم ورسلهم أقبح معاملة ففريقاً كذبوه وفريقاً قتلوه إذا ما أتاهم بما يخالف أهواءهم فقتلوا زكريا وابنه يحيى عليهما السلام ولم يسلم من كيدهم نبيهم موسى عليه السلام ، ثم تآمرهم على قتل خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فقد هموا بإلقاء حجر عليه وهو جالس تحت بيت من بيوتهم وقدموا له شاة مسمومة ، قال تعالى :

**(أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون )** [2].

١٠ — كفرهم بما كانوا يستفتحون به فقد كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم يستنصرون ببعثته على أعدائه إذا قاتلوهم ويقولون : إنه سيبعث رسول فى آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم — قال تعالى :

**( ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** [3]**)** .

١١ — كفرهم بغير ما فى التوارة ، قال تعالى :

**(وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم )** [4] .

---

(١) سورة آل عمرأن آية ١٨٧ .
(٢) سورة البقرة آية ٨٧ .
(٣) سورة البقرة آية ٨٩ .
(٤) سورة البقرة آية ٩١ .

١٢— ادعاؤهم بأن عزيرا ابن الله ، فقد روى أن اليهود لما قتلوا أنبياءهم بعد موسى عليه السلام عاقبهم الله برفع التوراة عنهم ومحوها من قلوبهم ، فخرج عزير يسيح فى الأرض فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : أين تذهب ؟ قال : أطلب العلم ،فعلمه جبريل التوراة كلها فجاء عزير بالتوراة إلى بنى إسرائيل فعلمهم إياها فقالوا : إن هذا لم يتهيأ لعزير إلا وهو ابن الله . وهو سبحانه منزه عن الولد والصاحبة .

١٣— خيانة بعضهم للأمانة ، فمن طبيعة اليهود المتأصلة فى نفوسهم الغدر والخيانة وجحد الأمانة ويزيدهم قبحاً افتراؤهم على الله بأنه أحل لهم أكل أموال العرب ، قال تعالى :

**( ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون )**[١] .

١٤— سماعون للكذب أكالون للسحت ، فمن طبيعتهم سماع الكذب من بعضهم ومن غيرهم سماع قبول وتصديق فأمرهم كله مبنى على الكذب وهو شر الرذائل وأضر المفاسد وكذا يفشو فيهم أكل السحت والحرام ويؤثرون الباطل على الحق .

١٥— قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء وأن يده مغلولة ، روى أنه لما نزل قوله تعالى : **( من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة )**[٢] ، قالوا : من احتاج إلى القرض كان فقيراً عاجزاً مغلول اليدين ، وقد رد الله عليهم هذه الجرأة وهذا القول القبيح بالطرد من رحمته وأنه سبحانه صاحب الجود الكامل والعطاء الشامل فكل العالم يعيش من فيضه وخيره وتحت ظلال نعمه التى لا تعد ولا تحصى قال تعالى :

---

(١) سورة آل عمران آية ٧٥ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٤٥ .

**( وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء )** (١) .

١٦ — حذفهم البشارة بمحمد من التوراة . فاليهود يعرفون مما عندهم من التوراة نعت محمد عليه الصلاة والسلام معرفتهم بأبنائهم وأكثر ، ويعرفون أوصافه الشريفة . فقد روى أن عمر بن الخطاب سأل عبد الله بن سلام — أحد كبار علمائهم — عن رسول الله فقال : أنا أعلم به منى بابنى ، قال عمر : ولم ؟ قال : لأنى لست أشك فيه أنه نبى ، فأما ولدى فلعل والدته خانت . فقبّل عمر رأسه رضى الله عنهما ، قال تعالى :

**( الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون )** (٢) .

١٧ — اتخاذهم المشركين أولياء — لقد بلغ حقد اليهود وحسدهم لمحمد عليه الصلاة والسلام وأتباعه حداً بالغاً من الفحش ، فهم اتخذوا المشركين عباد الأصنام والأوثان أولياء وأصفياء مع أنهم يدعون أنهم أصحاب رسالة وأتباع موسى عليه السلام وعقدوا معهم المعاهدات لقتال محمد والقضاء على الإسلام والمسلمين فى غزوة الخندق ، وقالوا للمشركين حين سألوهم : أديننا خير أم دين محمد ؟ دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه ، وممن اتبعه سبيلا . قال تعالى :

**( ألم تر الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا )** (٣) .

١٨ — سعيهم لصلب المسيح عيسى عليه السلام وهو خاتم أنبياء بنى اسرائيل أرسله الله إليهم حينما انغمسوا فى الحياة المادية وأهملوا الحياة المعنوية إهمالا تاماً وحينما

---

(١) سورة المائدة آية ٦٤ .
(٢) سورة البقرة آية ١٤٦ .
(٣) سورة المائدة آية ٥١ ، ٥٢ .

زعموا إنهم شعب الله المختار وأن غيرهم من البشر ليسوا إلا كلاباً وخنازير خلقهم الله لخدمتهم، وأن جميع مافى أيدى الناس من أموال هى ملك خاص بهم والناس مغتصبون لها منهم وأن دماء غيرهم وأعراضهم حلال لهم ، فلما جاء عيسى عليه السلام يدعوهم إلى الحق وعبادة الله وحده وإلى العودة إلى الحياة الروحية والزهد والقناعة، وأنه تعالى ليس عنده شعب مختار وشعب آخر غير مختار بل كل الناس عبيد له وحده وسواسية لا فرق بين إنسان وآخر ولا تمييز له عن غيره إلا بالتقوى والعمل الصالح ، نقول : لما جاءهم عليه السلام بذلك أثار سخطهم وغضبهم وخابت آمالهم فيه وسعوا به إلى حاكم الروم ( بيلاطس ) فى بيت المقدس وزينوا له قتل المسيح ولكنه لم يأبه بوشاياتهم ولم يرغب فى قتله لأنه لم يخف منه أن يستولى على الملك ولم ير فى دعوته إلا إصلاحاً خلقياً ودينياً لا يمس السياسة ولا الحكومة من قريب ولا من بعيد ، لكن اليهود لم ييأسوا ولم يسكتوا عن تدبير المؤامرات فكذبوا على عيسى عليه السلام ونسبوا إليه ما يثير غضب بيلاطس عليه فأمر بالقبض عليه وحكم بإعدامه صلباً، ولكن الله تعالى نجاه من كيدهم ومكرهم فألقى شبهه على أحد حوارييه الذى قام بالفتنة عليه مقابل ثلاثين قطعة من الفضة وهو ( يهوذا الإسخريوطى ) فأخذه الجند وصلبوه ، قال تعالى :

**( وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم )** [٣] .

فاليهود قوم لا عهد لهم ولا ميثاق ولا ذمة لهم مهما بذلوا من مواثيق ومعاهدات فلا يؤمن كيدهم وغدرهم فإنهم جبلوا على الخيانة ونقض العهود، وقد نقضوا مواثيقهم مع الله رب العالمين ومع نبيه محمد عليه الصلاة والسلام فكيف يوفون بأى عهد مع أى حاكم مسلم ؟ إن الوفاء يناقض طبيعتهم ، وما بالطبع لا يتغير ، وترويض الوحوش المفترسة أهون وأيسر من تطبيع علاقاتهم مع العرب والمسلمين ، ومن ترك ما ورثوه

---

(١) سورة النساء آية ١٥٧ .

وما اعتنقوه وزيفوه من عقائد فى التوراة فهم إذا ما بذلوا عهداً سرعان ما يخونونه ويضعون فى طريقه العقبات، ويفسرون بنوده تبعاً لأهوائهم وخبث نفوسهم ويخلقون الفرص لنقضه وإنكاره حين يرون من أنفسهم القدرة على نقضه ، ونحن اليوم — بعد تجاربنا — لا نصدق أية معاهدة للسلام معهم يخاصون لها ولا أمل لنا فى أن تنقلب عداوتهم لنا محبة ومودة مهما طال الزمن، فعداوتهم للعرب والمسلمين دائمة ومستمرة وغير قابلة للمحو والتغيير، وصدق الله حيث يقول: **( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا )** [1] ، والله تعالى لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ولن ينتصر المسلمون على أعدائهم حتى يعودوا إلى الله ويطبقوا تشريعاته وأحكامه ويعدلوا عن التحاكم إلى قوانين الشياطين والطواغيت ، ويكونوا كما كانوا أمة واحدة، ويعتصموا بالله وحده. وساعتئذ يمدهم الله بقوته وينصرهم على اليهود وعلى جميع من يناصرونهم من أعداء الإسلام ولو كانوا من أقوى الأقوياء .

إن داء اليهود الذى لا أمل فى شفائهم منه هو الكبر والغطرسة والعناد والمفاخرة والحقد والادعاء الكاذب أنهم شعب الله المختار . وأن من يعاديهم فهو يعادى السامية وأن غيرهم من البشر خلقوا من طينة أخرى أدنى من طينتهم وأن الله أوجد الشعوب غير اليهودية ليكونوا عبيداً وخدماً لهم يستبيحون أموالهم ويستحلون سفك دمائهم والاعتداء على أعراضهم، وأن مملكتهم التى وعدوا بها تمتد من النيل إلى الفرات وهدفهم الأخير القضاء على دول العالم كلها وتكوين الحكومة العالمية اليهودية التى تخضع لها كل الدول وتكون عاصمتها جبل صهيون بفلسطين أرض الميعاد، وملكها من نسل داود كما وعدهم بذلك إلههم ( يهوه ) — كل ذلك ورد فى بروتوكولاتهم التى صنعها حكماء وفلاسفة صهيون فى مؤتمرهم الذى عقد فى مدينة ( بال ) بسويسرا سنة ١٨٩٧ م .

(١) سورة المائدة آية ٨٢ .

## عقيدة اليهود فى الإله

١ — قال التلمود عن الإله[1] : إنه قسم النهار إلى اثنتى عشرة ساعة ففى الساعات الثلاث الأولى يجلس الله ويدرس الشريعة وفى الساعات الثلاث التالية يدين الشعوب وفى الساعات الثلاث التالية يغذى العالم بأسره وفى الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع ( الاقتياتن ) ملك السمك والاقتياتن طوله ثلاثمائة قدم يدخل الله فى فمه دون أن يتضايق ، ويجب الانتباه إلى أن لعب الله مع الاقتياتن قد انتهى بعد تدمير هيكل أورشليم ومن ذلك الوقت لم يكن لله جلد على اللعب والرقص كما كان يصنع فى الأزمان السابقة ، أما بعد تدمير الهيكل إلى الآن فإن الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة ،وهذه الخطيئة قد أبهظت ضمير الله حتى إنه يطوى ثلاثة أرباع الليل منكمشاً على ذاته مالئاً الدنيا زئيراً كالأسد الصريع . ثم يصرخ : الويل لى الويل لى إنى تركت بيتى ينهب وهيكلى يحرق وأولادى يشتتون . ومن ذلك الحين فإن الرب كان موجوداً فى كل مكان وزمان ولم يعد شاغلا إلا مساحة جزئية من العالم يقطعها الإنسان بأربع ساعات .

٢ — إن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءاً من الله فهى تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه . وهذا السبب يجعل نفس اليهودى أكثر قبولا وأعظم شأنا عند الله من نفوس سائر الشعوب لأن هؤلاء تشتق نفوسهم من الشيطان وهى مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد،ولهذا يقول التلمود : إن زرع الرجل غير اليهودى هو زرع حيوانى .

٣ — إن جهنم هى أكبر من السماء بستين مرة وهى سجن القـاف وفى مقدمتهم أتباع المسيح بن مريم لأن هؤلاء يحركون أيديهم كثيراً برسم الصليب على ذواتهم

---

(١) من كتاب ( همجية التعاليم الصهيونية ) تأليف الأستاذ بولس حنا سعد ص ٣٠ وما بعدها .

ويأتى بعد النصارى المسلمون لأنهم لايغسلون سوى أيديهم وأرجلهم وأفخاذهم وعوراتهم . . كل من ذكرنا يحشرون حشراً فى جهنم ولايغادرونها إلى الأبد .

٤ — السلطة على الشعوب غير اليهودية هى من نصيب اليهود فقط .

٥ — إن اليهودية أحب إلى الله من الملائكة فالذى يصفع اليهودى كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء .

٦ — والآية السادسة عشرة من التلمود سفر الخروج تقول : إن غير اليهودى كلاب وإن الأعياد المقدسة وضعت لإسرائيل وليس للأغراب والكلاب .

٧ — إن غير اليهودى ليسوا كلاباً فحسب بل حميراً أيضاً وإن بيوت غير اليهودى زرائب للحيوانات .

٨ — إن عبدة الأوثان الذين لايعتنقون الدين اليهودى وإن المسيحيين المؤمنين بيسوع المسيح والمسلمين التابعين للنبى محمد هم فى نظر اليهود أعداء الله وأعداء اليهود .

٩ — يكون استيلاء اليهودى على أملاك النصارى قهراً وقسراً تكفيراً عن ذنوبهم واستعادة لحقوق مهضومة .

١٠ — قال العالم ( بفافركن ) إن ممتلكات النصرانى بالنظر إلى اليهودى هى ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحار فأى يهودى يستولى عليها يكون مالكها الأصيل .

١١ — يمكن أن تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش ولكن إذا بعت أو اشتريت شيئاً لقريبك اليهودى فلا يجوز لك أن تراوغه أو تساومه .

١٢ — اقتل عبدة الأوثان وإذا سقط وثنى فى حفرة فاسدد عليه بحجر كبير .

١٣ — إن اليهودى يتعدى الشريعة فى كل مرة يقدر على قتل واحد من هؤلاء ولايقتله .

١٤ — يقول الربانيون : من يسفك دم الكفار بيده يقدم قرباناً مرضياً لله .

١٥ — يقول موسى : لاتشته امرأة قريبك ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يستحق الموت . أما نساء الأجانب فمباحة له . واليهودى لايؤمن أنه ارتكب الفحشاء عندما يفض بكارة فتاة نصرانية .

١٦ — حياة الذين ليسوا من دينك هى بين يديك فافعل بها ما تشاء وأموالهم وممتلكاتهم هى هدية لك .

## وصف الإلــه فى التوراة

تمثل التوراة الحالية الإله بشخص يعمل فيتعب ويكد ويشقى فيحتاج إلى استراحة ويغلط ويستدرك أغلاطه ويستغفر عباده ويعتذر إليهم ، ويغضب وينتقم ويخلق آدم وذريته ويندم على خلقه ويأمر بالطوفان تأديباً للبشر على خلقه إياهم . ومن الأوصاف الإلهية فى التوراة أيضاً : أنه لما خلق الرب الكون فى ستة أيام استراح فى اليوم السابع لما أرهقه عمل الخلق الأمر الذى أدى باليهود إلى اتخاذ يوم السبت استراحة كاملة للبشر والحيوان والنبات حتى الأرض . والقرآن الكريم ينزه الله سبحانه عن كل هذه المفتريات وينفى إلحاق التعب والإرهاق له بعد ستة أيام فى العمل واتخاذه يوم السبت استراحة له فيقول سبحانه :

**( ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب )** (١)

وقال :

**( أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ، بلى إنه على كل شىء قدير )** (٢) ،

ونفى سبحانه عن نفسه النوم ومقدماته فقال :

**( الله لاإله إلا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولانوم )** (٣) .

---

(١) سورة ق آية ٣٨ .
(٢) سورة الأحقاف آية ٣٣ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

## اليهـود والشيوعيـة

كان ( ماركس) الذى أنشأ الشيوعية فى روسيا يهودياً وأحدث الشيوعيون بها ثورة سنة ١٩١٧ وقبضوا على القيصر وأسرته وقتلوهم شر قتلة ونتكوا بهم كما هم مأمورون به فى التوراة فيما يخص معاملة أعدائهم، وكانوا يظنون أنهم سيعيدون بفضل الشيوعية سلطانهم فخاب أملهم فولوا وجوههم نحو أميركا لاعتقادهم أن نفوذهم القوى بأميركا يحقق لهم آمالهم فى تأسيس الدولة اليهودية العالمية ابتداء بالأرض المحتلة بفلسطين التى قامت بها دولة إسرائيل سنة١٩٤٨ بمساعدة الدول العظمى لتكون نواة لدولتهم العالمية ، والمجلس الأعلى فى روسيا يتكون من أعضاء أغلبهم من اليهود الذين اعتنقوا الشيوعية ، وهو الذى يشرف على نشرها فى العالم ويرسم سياسة الدولة ويصدر المهاجرين اليهود منها إلى دولة إسرائيل واستيطانهم بها حتى يكونوا عوناً لها وجنداً يقاتلون العرب والمسلمين لتحقيق أهدافهم وأطماعهم فى الدول العربية والإسلامية ثم فى بسط نفوذهم على العالم أجمع .

## الإله الحقيقى عند اليهود

إن الإله الحقيقى لليهود الذى يصفونه بالوحدانية ليس هو إله المسلمين والموحدين وإنما إلههم الذى يقصدونه ويعبدونه يسمى : ( يهوه ) وهو إلههم وحدهم وليس لغيرهم من البشر أن يتخذوه إلها لأنه فى زعمهم إله إسرائيل وحدها وقدوسها الأوحد : ( أنا الرب إلهكم الذى فرزكم من بين الأمم ) [1] ، وسيقوم ( يهوه ) على تحطيم الآلهة الأخرى جميعها ويحكم الأرض حينئذ وحده دون غيره من الآلهة إذ يكون قد انتصر عليها وذلك بواسطة شعبه المختار ( الرب رقيب عليهم فيستأصل جميع آلهة الأرض وله يسجد الناس كل واحد من موضعه جميع جزائر الأرض ) [2] .

---

(١) سفر الأخبار ٢٠ ــ ٢٤ .

(٢) نبوءة صفنيا ٢ ــ ١١ .

## بروتوكولات حكماء صهيون

إن أهداف اليهود التى يزعمون أن التوراة تأمرهم بها هى السيطرة على العالم وتحقيق ما يحلمون به من حكومة عالمية تخضع لها جميع الدول ويسلكون فى سبيل ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ولايقفون عند حد ، يستعملون كل ما يستطيعونه من قسوة وعنف وإراقة دماء .

وقد عقد أحبارهم وزعماؤهم مؤتمراً فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ ضم أكابر الأحبار وأصحاب الثراء فيهم لوضع الخطوط لإيجاد الحكومة العالمية فى القرن العشرين ووضعوا البروتوكولات للقضاء على العروش والحكومات وبسط نفوذهم وإبادة الحضارة وإشاعة الفوضى والتخريب والفساد فى كل القارات ومحو الأديان الأخرى وفى مقدمتها المسيحية ثم الإسلام حتى لايبقى إلا دينهم سائداً فى الدنيا بأسرها ، وهم فى سبيل ذلك أنشأوا الشيوعية ثم عصبة الأمم ثم هيئة الأمم . والوسيلة الأولى لإدراك غايتهم جمع المال باعتباره الطريق الوحيد الذى يفتح أمامهم الأبواب الموصدة ثم استعمال الاغتيال والفتك كما فعلوا فى ( جون كينادى ) رئيس جمهورية الولايات المتحدة وقتلوا قاتله وهو بين يدى الشرطة حتى لايفضح مؤامراتهم ، ومن لم تنفع معه الرشوة بالأموال الطائلة قد تنفع معه المتعة بفتياتهم الجميلات ، ومن لم ينفع معه هذا ولا ذاك ينفع معه الاغتيال وسفك دمه .

ومن وسائلهم أيضاً التخريب الاقتصادى والخلقى ونشر الدعارة والإباحية والمخدرات بأسمائها المتنوعة ثم السيطرة على وسائل الإعلام من صحافة ومجلات علمية وأخرى خليعة فاضحة ومن إذاعات مسموعة ومرئية ومقروءة ومن إفساد فى برامج التعليم وبخاصة فى الجامعات بزعم حرية الفكر والبحث وتشجيع التبرج بين البنات والتخنث فى الشباب حتى تزول الفروق بين الفتى والفتاة بحجة المساواة التامة بين الجنسين كما يستعملون الجاسوسية ونشر الأخبار الزائفة [١] .

---

(١) من كتاب أصول الصهيونية وآمالها للأستاذ عبد الحميد بن أبى زيان بتصرف .

وقد وضع حكماء وفلاسفة صهيون فى مؤتمرهم أربعة وعشرين بروتوكولا ، تنقل منها بأرقامها ما يأتى :

١ — الحق للقوة — التضاد بين السياسة والأخلاق — السلطة اليهودية الماسونية لاتغلب — الغاية تبرر الوسيلة — نشر المسكرات والفساد والإرهاب .

٢ — الحقوق الشعبية سخرية من الفقير ، قوتنا فى أن يبقى العامل فى فقر ومرض دائمين لأننا بذلك نستبقيه عبداً لإرادتنا ، سنخلق أزمة اقتصادية عالمية بمساعدة الذهب الذى هو كله فى أيدينا .

٥ — سنضغط على المسيحيين حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دولياً .

٦ — سننسف بمهارة أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال .

٧ — انتزاع الثروة العقارية من أيدى الطبقة الأرستقراطية ، الترف والبذخ .

٨ — رفع مستوى الأجور العمالية ، زيادة مستوى الأسعار للحاجيات الضرورية . إدمان الخمور .

٩ — إن لنا طموحاً لايحد وشرعاً لايشبع ، إننا مصدر إرهاب بعيد المدى .

١٠ — الدستور مدرسة الانشقاقات الحزبية ، الجمهوريات مطايا الماسونية ، استغلال الفضائح — نشر جراثيم الأمراض .

١١ — القويم (غير اليهودى) قطيع من الغنم وإننا الذئاب .

١٤ — حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ولهذا يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، وسيفضح فلاسفتنا كل مبادىء الديانات غير اليهودية — نشر الأدب الإباحى .

١٥ — سقوط هيبة القوانين والسلطة . تعتبر سياستنا السرية أن كل الأمم أطفال وأن حكوماتها كذلك يوم يضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذى أهدته له كل أوروبا ، سيصير البطريرك لكل العالم .

١٧ — البلاط البابوى ملك اليهود ، قد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من غير اليهود فى أعين الناس ، وبذلك نجحنا فى الإضرار برسالتهم التى كان يمكن أن تكون عقبة كئودا فى طريقنا ، وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوماً ، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الأديان الأخرى .

١٨ — زوال الصبغة الدينية عن السلطة وإلقاء القبض والاعتقال على أقل شبهة — إننا سنكره الحاكمين على الاعتراف بضعفهم بأن يتخذوا إجراءات بوليسية خاصة وبهذا سنزعزع هيبتهم الخاصة .

١٩ — إننا سنحرم على الأفراد أن يصيروا منغمسين فى السياسة — حق الشعب فى رفع العرائض والمقترحات .

٢٠ — إن العملة الذهبية كانت دماراً للدول التى سارت عليها لأنها لم تستطع أن تفى بمطالب السكان ولأننا فوق ذلك قد بذلنا أقصى جهدنا لتكديسها وسحبها من التداول — الضريبة التصاعدية — ركود رأس المال — إصدار أوراق النقد — إصدار سندات بفائدة نسبة مئوية — نشر البطالة .

٢٢ — تتركز فى أيدينا أعظم قوة فى الأيام الحاضرة وأعنى بها الذهب ففى خلال يومين نستطيع أن نسحب أى مقدار منه من حجرات كنوزنا السرية .

٢٣ — إن الأمم لاتخضع خضوعاً أعمى إلا للسلطة الجبارة المستقلة عنهم استقلالا مطلقاً القادرة على أن تريهم أن سيفاً فى يدها يعمل كسلاح دفاع ضد الثورات الاجتماعـــية .

إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله ومُعانا من أعلى .

٢٤ — إن قطب العالم فى شخص الحاكم العالمى الخارج من بذرة إسرائيل ليطرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه .

إن ملكنا يجب أن يكون مثال العزة والجبروت .

وفى هذا البحث عن اليهود لانرى حاجة إلى التعليق على مبادئهم وتاريخهم الأسود مع المسلمين ونبيهم محمد صلوات الله عليه وسلامه ومع المسيحيين ونبيهم عيسى عليه السلام وأمه العذراء الطاهرة السيدة مريم بل ومع البشرية جميعها من غير اليهود فذلك واضح وضوح الشمس وفى غير حاجة إلى تعقيب .

ورغم كل هذه الأعمال والمؤامرات الإجرامية وانتصاراتهم فى توجيه القوى العالمية لتحقيق أطماعهم وأحلامهم فى إقامة دولة إسرائيل العالمية لحكم العالم كله لانقطع الأمل فى القضاء على أطماعهم واسترداد أمجادنا وانتصارنا عليهم تحقيقاً لوعد الله تعالى لنا فى كتابه العزيز والله يقول الحق ولاغالب له ، قال تعالى :
**(وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلنّ علوا كبيرا)** [1] ،

وقدسبق لهم هذا الفساد وعاثوا فى أرض فلسطين وبيت المقدس قتلا ودمارا إلى إلى أن بعث الله عليهم عباداً له من المسلمين بقيادة أبى عبيدة بن الجراح فى عهد عمر ابن الخطاب فأخرجهم من بيت المقدس وطردهم من أرض فلسطين وصدق سبحانه حيث يقول : **( فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الدياروكان وعداً مفعولا )** وليس لله عباد له صادقون مخلصون محاربون لأعدائه غير المسلمين أتباع خاتم أنبيائه ورسوله محمد ﷺ . ثم يقول سبحانه :
**(ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا)**

وقدتحقق ذلك فى عصرنا الحالى حيث أعلنوا الحرب على العرب والمسلمين سنة ١٩٤٨م وأيدتهم الدول الكبرى وأمدتهم بأحدث الأسلحة الفتاكة وبالمهاجرين والمتطوعين فأقاموا دولتهم فى قلب بلاد العرب والإسلام وأصبحوا قوة تهدد أكثر من ألف مليون من العرب والمسلمين حولهم وصالوا وجالوا بمؤامرة الصليبية الأوروبية والأمريكية واعتبرتهم أمريكا إحدى ولاياتها .

---

(١) سورة الاسراء آية ٤ — ٨ .

ثم نحن الآن فى انتظار الجولة الأخيرة ضدهم حيث يقول سبحانه :

**( فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا )**

أى ليدمروا ويهلكوا ويزيلوا ملكهم حتى يعود بيت المقدس وأرض فلسطين إلى ولاية العرب والمسلمين .قال تعالى : **( وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب )** [1] ، وقد بعث الله عليهم فى عصرنا ( هتلر ) ألمانيا وبعث عليهم قبله كثيراً من أمثاله وسيبعث عليهم فى المستقبل القريب من أمثاله أكثر وأكثر من المسلمين وغيرهم .

وليس من المعقول أن نعلن حرباً على اليهود وهم الآن مشتتون وموجودون فى أغلب دول العالم فهذا غير مستطاع لأن هذه الدول ستقوم بالدفاع عنهم باعتبارهم من رعاياها ،ولكن من الممكن إعلان تلك الحرب عندما يجتمع أكبر عدد منهم فى بقعة واحدة كفلسطين وتكون لهم دولة وجيش يقاتلون به ويدافع عنهم وحينئذ فقط يأذن الله فى حربهم وإبادتهم وإراحة البشرية جمعاء من شرورهم ومفاسدهم ومؤامراتهم ويعم العالم السلام والاستقرار ويتحقق وعد الله وهو سبحانه لا يخلف الميعاد .

ونحن نؤمن أيضاً بما وعدنا به الصادق الأمين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه فى حديثه الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : ( لتقاتلن اليهود ولتنصرن عليهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى ورائى فتعال فاقتله ) .

وهذا اليوم بمشيئة الله وعونه ليس بعيداً وبقدر إسراعنا إلى طاعة الله والاعتصام به والتمسك بشريعته وتآلف المسلمين ووحدة الصف — وتغيير ما بأنفسنا سوف يسرع الله بنصره وتأييده لنا . وقد بدت البشائر بهذه العودة بما نشاهده من الصحوة الإسلامية

---

(١) سورة الأعراف آية ١٦٧ .

وبما حدث أخيراً بين الدول العربية والإسلامية من تقارب وتآلف وقضاء على ما بينها من خلافات وبتفاهم شعوب العالم واقتناعها بعدالة قضيتنا وتأييدها لحقوقنا .

والله تعالى لايتخلى عن عباده ولا يخاف معهم وعده حيث يقول :

**( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا )**[1] .

(١) سورة النور آية ٥٥ .

## ميثـــاق النبين

ماأشبه عقل الإنسان فى نموه وتطوره بالطفل فى نشأته، فالطفل يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً فلا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ثم توجد فيه هذه الحواس تدريجياً ، قال سبحانه :

**( والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون )** [1] ،

وأول شىء من الإدراك يوجد فى الطفل عقب ولادته هو السمع ، ولذا كان المسلم حين يولد له ولد يأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذّن عليه الصلاة والسلام فى أذنه ليكون الأذان أول صوت يسمعه ذلك الطفل بعد أن كان لايسمع ولاينطق ولايتكلم ، ثم يعقب وجود السمع وجود حاسة البصر ثم الإدراك شيئاً فشيئا حتى يبلغ سن التمييز فى سن السابعة، وحينئذ يأمر صلوات الله وسلامه عليه الآباء أن يعلموا أولادهم الصلاة وأن يضربوهم عليها إذا بلغوا العاشرة إذا لم يقيموها .

وهكذا شأن الطفل فى حال المشى فهو يحبو أولا ويزحف على ركبتيه ويديه ثم يقف معتمداً على الجدران حتى تقوى ساقاه على المشى ، وهكذا الشأن فى طعامه وشرابه فلا يقبل غذاء سوى اللبن فلا يأكل طعاماً ولا يشرب ماء ثم بعد أن تقوى معدته يبدأ فى أكل الأطعمة الخفيفة ثم الثقيلة .

وهكذا شاءت مشيئة الله تعالى أن يكون التطور والانتقال من حال إلى حال هو سنة الحياة ، والعقل البشرى لايخرج عن هذه السنة وهذا التطور ، فحينما كان ذلك العقل فى بداية الحياة شرع له ما يناسبه ويوائم عقله وتفكيره من تشريع فجعل علامة القبول عنده لعمل الإنسان أن يقدم قربانا فإن كان مقبولا عند الله أنزل عليه ناراً من السماء فترفعه وإن لم يكن مقبولا تركته النار ولم ترفعه ، وهذا هو ما حدث بين ابنى

---

(١) سورة النحل آية ٧٨ .

دم : قابيل وهابيل حينما تنازعا فى الزواج ، وأخيراً اتفقا على أن يقدم كل منهما قرباناً ، فقدم هابيل كبشاً سميناً من غنمه وقدم قابيل حزمة رديئة من السنابل فأخذت النار قربان هابيل وتركت قربان قابيل فحقد على أخيه وسوّلت له نفسه الخبيثة قتله فقتله ، قال تعالى :

**( واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين * إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين )** (١) .

ثم حين تطور العقل واتسع بعث سبحانه إلى عباده ما يلائم عقولهم على يد رسول من رسله الكرام وهكذا إلى أن بلغت العقول كمال رشدها وأصبحت قادرة على فهم رسالة السماء الأخيرة أرسل تعالى إلى البشرية خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه بخاتم رسالاته إلى أن تقوم الساعة . وأجمع الرسل من آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أصل الرسالات جميعها وهو الوحدانية لله تعالى وترك عبادة غيره من الأوثان والأصنام والكواكب والحيوانات والملائكة والحكام ، قال تعالى :

**( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )** (٢) وقال . **( ولكل أمة رسول )** (٣) ،

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : ( الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بابن مريم فليس بينى وبينه نبى ) .

قال العلماء : معنى الحديث : أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون

---

(١) سورة المائدة آيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .
(٢) سورة الأنبياء آية ٢٥ .
(٣) سورة يونس آية ٤٧ .

فى أصول التوحيد أما فروع الشرائع فوقع فيها الخلاف :

**( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا )** (١) .

بعد هذا التمهيد نذكر قوله تعالى الذى أخذ به الميثاق على الأنبياء :

**( وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا ، قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون )** (٢) ،

ومعنى هاتين الآيتين كما فى تفسير ابن كثير : أن الله تعالى يخبرنا أنه أخذ ميثاق كل نبي وعهده من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما أوتى أحدهم من كتاب وحكمة ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ، والإصر : العهد والميثاق الشديد المؤكد : ( قالوا أقررنا : قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك ) بعد هذا العهد والميثاق ( فأولئك هم الفاسقون ) أى الخارجون عن طاعة الله ، قال على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بعث الله محمداً وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته : لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ، فكل يهودى أو نصرانى لايؤمن بمحمد فهو خارج عن دينه عاص لله ولنبيه.فالرسول محمد عليه الصلاة والسلام هو خاتم رسالات السماء إلى يوم الدين وهو الإمام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر لكان هو واجب الطاعة على الأنبياء كلهم ، ولذا كان إمام الأنبياء جميعاً ليلة الإسراء حين اجتمعوا فى بيت المقدس.وكذا هو الشفيع فى المحشر فى إتيان

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران الآيتان ٨١ ، ٨٢ .

الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده، وهو ذو المقام المحمود الذى لايليق إلا له والذى يحيد عنه أولو العزم من الرسل حتى تنتهى إليه العباد فيكون هو المخصوص بهذا المقام المحمود صلوات الله وسلامه عليه .

وقبل هاتين الآيتين مباشرة يقول الله تعالى :

**( ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون )**(١)

قال أبورافع القرظى : حين اجتمعت الأحبار من أهل الكتاب من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام قالوا : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس : أو ذاك تريد يا محمد وإليه تدعونا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غير الله ، ما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى ، فأنزل الله فى ذلك قوله : **( ماكان لبشر . . . )** الآيتين إلى قوله : **( أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون )** أى ما ينبغى لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس : اعبدونى واتركوا عبادة الله ، فإن كان ذلك لايصلح لنبى ولامرسل فلأن لايصلح لأحد من الناس بطريق الأولى والأحرى .

فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون فى هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنهم يأمرون بما يأمر الله به وينهونهم عما نهاهم الله عنه، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم السفراء بين الله وبين خلقه من البشر فى أداء ما حملوه من الرسالات وإبلاغ الأمانة فقاموا بذلك أتم القيام ونصحوا الخلق وبلغوهم الحق . وقوله سبحانه : ( ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ) أى ولكن يقول الرسول للناس : كونوا ربانيين .

---

(١) آل عمران آية ٧٩ ، ٨٠ .

قال ابن عباس : أى حكماء علماء حلماء . وعن الحسن : يعنى أهل عبادة لله وحده لاشريك له ، قال تعالى :

**( واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الله آلهة يعبدون )** (١) .

ويقول الله تعالى :

**( ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين )** (٢) .

واسم الإسلام يشمل كل مؤمن برسوله وصدقه وعبد الله وحده من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ،ولا يختص بأمة محمد فمن آمن برسوله وعبد الله وحده فهو مسلم أيضاً ثم إذا أدرك رسالة محمد عليه الصلاة والسلام آمن به وعزّره ونصره واتبع النور الذى أنزل معه — يقول الله على لسان عيسى بن مريم عليه السلام **( يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدىّ من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد )** (٣) .

---

(١) سورة الزخـــــرف آية ٤٥ .
(٢) سورة آل عمران آية ٨٥ .
(٣) سورة الصف آية ٦ .

## معجزات الأنبيــــاء المادية

قلنا فيما سبق إن دعوة الأنبياء واحدة أساسها جميعها توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده، ولم تختلف دعوتهم إلا فى الفروع والأحكام القابلة للتغيير والتى تقتضيها مصلحة المجتمع فى كل زمان ومكان، والله تعالى أيد رسله بالمعجزات التى تظهر على أيديهم وتكون خارقة للعادة ويتحدى بها الرسول الناس جميعاً فيعجزون عن الإتيان بمثلها ويقرون برسالته فهى بمنزلة : صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى . ومعجزة كل نبى تكون مناسبة للعقل البشرى فى عهده وبما برع فيه قومه فموسى عليه السلام برع قومه فى السحر وكان السحرة سادة القوم فأيده الله تعالى بما يبطل سحرهم وتبتلع العصا حبالهم وعصيهم فأسرع السحرة إلى الإيمان بالله والسجود له وحده والإيمان برسالة موسى والعلم بصدقه وأنه رسول حقاً من الله ولم يبالوا بتهديد الطاغية فرعون أنه سيقتلهم ويصلبهم على جذوع النخل وقالوا : (**آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**) وقالوا :

(**فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا**) [1] .

واشتهر الناس فى عهد عيسى عليه السلام بالطب وشفاء بعض الأمراض فكانت معجزته إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله .

ونلاحظ فى معجزات جميع الأنبياء والمرسلين قبل مبعث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أنها ملائمة لعقول وتفكير قومهم فى ذلك الزمن، وأن العقول كانت حينئذ ما زالت فى مراحلها الأولى فلم يعط الله تعالى لنبى من أنبيائه السابقين معجزة معنوية روحانية حتى لاتكون فوق مستوى تفكيرهم وإدراكهم بل اقتصرت معجزاتهم على الأمور المادية التى تناسبهم ولايشق عليهم فهمها والاقتناع بها. ثم لما كملت عقول البشر وشبت عن الطوق وأصبحت فى استعداد تام لفهم المعانى أرسل الله إليهم خاتم

---

(١) سورة طـــــــه آية ٧٢ .

لأنبياء والمرسلين وخصه بمعجزة القرآن الكريم الباقية إلى يوم القيامة تتحدى عقول البشرية أن يأتوا بمثلها أو بعشر سور من مثل القرآن أو بأقصر سورة منه فعجزوا جميعاً رغم ما اشتهر به العرب فى عهده من الفصاحة وأساليب البلاغة وفنون الخطابة :

**( قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا )** [١] ،

وقال سبحانه :

**( وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين )** [٢] .

ومع اختصاصه صلوات الله وسلامه عليه بمعجزة القرآن الكريم الخالدة أجرى الله على يديه أيضاً كثيراً من المعجزات المادية كنبع الماء من بين أصابعه وحنين الجذع إليه وانشقاق القمر والبركة فى الطعام والشراب وغير ذلك .

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٨ .
(٢) سورة البقـــرة آية ٢٣ .

## عقيدتنا

١ ــ نحن معاشر المسلمين نعتقد ونصدق بجميع الأنبياء والمرسلين وبالكتب التى أنزلها الله عليهم . ونؤمن باليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء وبالملائكة **(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون* كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله )**[١] **( والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما )**[٢] .

٢ ــ نؤمن بكل ما ذكره الله فى كتابه العزيز بأنه واحد لاشريك له وأنه خالق لجميع المخلوقات ورازقهم وأنه منزه عن الولد والصاحبة :

**( قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد ).**

٣ ــ نؤمن بأنه هو وحده النافع والضار وليس كمثله شىء ، وأنه هو الرازق والباسط **( أمَّن هذا الذى يرزقكم أن أمسك رزقه )**[٣] ، **( مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم )**[٤] .

٤ ــ نؤمن أنه لاإكراه فى الدين **( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )** ولو شاء سبحانه لهدى الناس جميعا .

**( من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا )**[٥] .

٥ ــ نؤمن بأن الله تعالى يفعل ما يشاء ولايسأل عما يفعل وله الحكمة البالغة فيما يفعل وأنه سبحانه خالق للجنة وخالق للنار وأنه سبحانه تكفل بملء كل منهما .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥ .
(٢) سورة النساء آية ١٥٢ .
(٣) سورة الملك آية ٢٠ .
(٤) سورة فاطر آية ٢ .
(٥) سورة الكهف آية ١٨ .

٦ — نؤمن بأن الله أمرنا بالدعوة إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن وعدم مجادلة أهل الكتاب بالعنف والغلظة فلنا ديننا ولهم دينهم والله تعالى يفصل بين عباده يوم الحساب فيما كانوا فيه يختلفون، فلا اعتراض لنا على أهل الكتاب وليس لهم حق الاعتراض علينا وكل منا يدعو إلى دينه بالحجة والبرهان والعقل والمنطق بعيداً عن المهاترات والأحقاد والضغائن والاعتداء، وليعتقد أهل كل دين أنهم على حق وغيرهم على الباطل وإنهم هم الفرقة الناجية الذين لهم الجنة ولغيرهم النار والعذاب الشديد والله يفصل بين عباده وإليه ترجع الأمور .

٧ — نؤمن بأن أهل الكتاب لهم أن يتحاكموا إلى كتبهم وأن نتركهم وما يدينون، لهم ما لنا وعليهم ما علينا فلا نتدخل فى أحوالهم الشخصية ولا فى طقوس عبادتهم، وأن كنائسهم لها حرمة المساجد فلا نعتدى عليها وهم أيضاً لا يعتدون على المساجد ونؤمن أيضاً أن دماءهم كدمائنا وأعراضهم كأعراضنا وأموالهم كأموالنا لها حرمتها واحترامها ولها قيمتها على التأبيد فلا يعتدى مسلم عليها، ويحرم على المسلم إتلاف خمورهم وقتل خنازيرهم فإن فعل فيلزمه قيمة ما أتلفه منها .

٨ — رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وبالقرآن الكريم حكماً ودستورا :

**( أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً للقوم يوقنون )**[١] .

(١) سورة المائدة آية ٥٠ .

## سماحة الإسلام

يعيش المسلمون مع المسيحيين فى مصر فى مودة وألفة وتعاطف وتفاهم وإخاء سواء كانوا فى قرية أو مدينة ، يحترم كل منهم الآخر ولايعتدى عليه ولا يظلمه ويجامل بعضهم بعضاً فى الأفراح والأحزان والأعياد.ولاتكاد تجد قرية أو مدينة تخلو من النصارى يسكنون بين بيوت المسلمين كما لاتكاد تجد عمارة فى العواصم والمدن يسكنها المسلمون خاصة أو المسيحيون فقط بل هم خليط وجيران وشركاء فى كثير من المشروعات والمعاملات لايبغى بعضهم على بعض . وكذا تجد الأمر بين العاملين فى كل وزارة أو هيئة حكومية أو أهلية أو فى مصرف فالكل سواسية وزملاء وأصدقاء فى العمل لاتفرقة بينهم فى معاملة ولا امتياز لأحدهم على الآخر .

وهذه أمور عادية لاتلفت النظر ولا عجب فيها فالإسلام يأمر أتباعه بالسماحة مع المواطنين غير المسلمين ويحثهم على حسن المعاشرة وتقوية الألفة والتعاون على البر والتقوى والعمل الصالح ، يقول سبحانه :

**( لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين )** [١] .

فهذه الآية الكريمة رخصة فى صلة الذين لم يعادوا المسلمين ولم يقاتلوهم ، وقال أكثر أهل التأويل : هى محكمة غير منسوخة[٢] ،والمعنى : أن الله تعالى لاينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم وتعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة . وليس المراد بقوله ( وتقسطوا ) العدل فقط فإن العدل واجب على المسلمين فيمن قاتل ومن لم يقاتل .

وقال سبحانه :

**( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم )** [٣] ،

---

(١) سورة الممتحنة آية ٨ .
(٢) تفسير القرطبى ج ١٨ ، ص ٥٩ .
(٣) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

والمراد بالذين ظلموا منهم الذين حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح الحجة وعاندوا وكابروا . . ويأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله :

**( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين )**[١] .

فأمر سبحانه رسوله وأمته تبع له ومأمورة بما أمر الله به رسوله أن يدعو إلى دين الله وشريعته بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغى أن يلتزم ويتمسك الوعاظ المسلمون بما أمرهم الله به ورسوله حتى تنجح دعوتهم كما نجحت دعوته صلوات الله وسلامه عليه .

وقال له أيضاً :

**( فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك )** [٢] ،

ويبين له مجال دعوته وحدودها بقوله : **( فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر )**[٣]، ويكفينا فى حسن معاملته ونبل أخلاقه وسماحته شهادة الله له بقوله : **( وإنك لعلى خلق عظيم )** [٤] .

وأذكر فى هذه المناسبة أنى حينما كنت طالباً فى كلية الشريعة الإسلامية ذهبت مع زملاء لى إلى زيارة الإمام الحسين رضى الله عنه وكان معنا طالب متزمت جداً فرأينا رجلا من العوام انكب على عتبة حجرة المدفن بالتقبيل ثم بالسور النحاس حول الضريح فزجره ذلك الزميل بعنف فنظر إليه العامى وقال له : وهذه قبلة أخرى لأجلك يامولانا .

ولم يقتصر عفوه عليه الصلاة والسلام وتسامحه على المسلمين فقط وإنما شمل ذلك غيرهم حتى المحاربين له ، فقد روى أن رجلا مشركاً محارباً جاءه عليه الصلاة والسلام

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩ .
(٣) سورة الغاشية آية ٢١ ، ٢٢ .
(٤) سورة القلم آية ٤ .

مستجيراً وطالباً منه الأمان فأعطاه الأمان مع أنه مأمور بقتله وأنزل الله تعالى عليه : **( وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله )** ولم يكتف سبحانه بذلك بل أمره أن يوصله ويبلغه بلاد الكفر التي يأمن فيها على نفسه فقال له : **( ثم أبلغه مأمنه )** [1] .

وأوصاه سبحانه بحسن المعاملة مع الجار وأن يراعى حق الجوار وإن لم يكن مسلماً ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : ( ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه ) .

وهذا كليم الله موسى عليه السلام يأمره سبحانه وأخاه هارون بقوله :

**( اذهب أنت وأخوك بآياتي ولاتنيا فى ذكرى * اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى )** [2] ،

وفرعون رأس الكفر ومدعى الألوهية والطاغية الأكبر والقائل لقومه ( ما علمت لكم من إله غيرى ) والقائل : ( أنا ربكم الأعلى ) والذى يقدم قومه يوم القيامة ويوردهم النار ، وموسى عليه السلام أعظم أنبياء بنى إسرائيل ومن أولى العزم والمنزل عليه التوراة ومع كل هذا أمره الله بالذهاب إلى هذا الطاغية ودعوته إلى الإيمان بالله وحده باللين واللطف والرأفة فلعل هذا الأسلوب ينجح معه ويعيده إلى الرشد والهدى ، ولكنه تجبر وتكبر فكانت عاقبته :

**( فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون * وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين )** [3] .

**وصيته عليه السلام بقبط مصر :**

رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة فى التوصية بقبط مصر وحسن

---

(١) سورة التوبة آية ٦ .
(٢) سورة طه آية ٤٢ — ٤٤ .
(٣) سورة القصص آية ٤٠ — ٤٢ .

معاملتهم منها قوله عليه الصلاة والسلام : ( إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما ) أو قال : ( ذمة وصهرا ) فالسيدة هاجر أم إسماعيل عليه السلام مصرية وأم ابنه إبراهيم مارية القبطية التى أهداها إليه المقوقس وهى من قرية معروفة بمركز ملوى محافظة المنيا .

ومنها ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الأولى والآخرة ) قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : ( الأنبياء إخوة من علات ( إخوة لأب ) وأمهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بينى وبين عيسى نبى ) .

ومنها قوله صلوات الله وسلامه عليه : ( من آذى ذميا فقد آذانى وأنا خصمه يوم القيـــامة ) .

ولم يقتصر عفوه وتسامحه مع قبط مصر بل شمل كل الناس حتى أعدى أعدائه من المنافقين ، فهذا عدوه وعدو الله وزعيم المنافقين فى المدينة ، عبد الله بن أبى بن سلول الذى كان من أسباب هزيمة المسلمين فى غزوة أحد حين رجع بثلث الجيش إلى المدينة وقاد الحملة الآثمة فى الافتراء على أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها أحب نساء نبى الله إليه واتهمها باقتراف الفاحشة وطعن فى عرض رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى هجرها وحتى نزلت براءتها من هذه التهمة الخطيرة فى عشر آيات متواليات قال سبحانه :

**( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . . . )**

الآيات إلى قوله :

**( ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم )** (١) .

---

(١) سورة النور الآيات من ١١ — ٢٠ .

أقول : هذا زعيم المنافقين عبد الله بن أبي حين مرض وحضرته الوفاة طلب من ابنه المسلم عبد الله بن عبد الله أن يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلب منه أن يعطيه قميصه ليكفن فيه فلم يرده خائباً وعفا عن أبيه وأعطاه قميصه ، ولم يكتف ابنه بذلك وإنما رجع ثانياً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يصلي على أبيه صلاة الجنازة وأن يقف على قبره ، فقام وصلى عليه ، فعاتبه عمر بن الخطاب وأراد منعه من ذلك فلم يسمع لقوله وقال : إن الله خيّرني وقال :

**( استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم )** [1] ، **وقال : ( سأزيد على السبعين ) .**

وفي صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( من قتل معاهداً لم يرح (يشم) رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما ) .

---

(١) سورة التوبة آية ٨٠ .

## سماحته عليه السلام

روى الشيخان فى صحيحيهما عن أنس قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرد ( ثوب مخطط ) نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة ، قال أنس : حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أثَّرت فيها حاشية الثوب من شدة جبذته فقال : يامحمد مر لى من مال الله الذى عندك . فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وأمر له بما طلب .

وروى البخارى ومسلم أيضاً عن أنس رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ( مه . مه ) فقال عليه الصلاة والسلام : ( لاتزرموه ) لاتقطعوا عليه بوله ( إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ) فتركوه حتى انتهى بوله ، ثم دعاه وقال : ( إن هذه المساجد لاتصلح لشىء من هذا البول والقذر ، إنما هى لذكر الله تعالى وقراءة القرآن ) ثم أمر رجلا فجاءه بدلو من ماء فشنه ( صبه ) عليه .

وجاءه أعرابى يستعينه فى شىء فقال : يا محمد أعطنى فإنك لاتعطينى من مالك ولا من مال أبيك ، فأعطاه شيئاً ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابى : لا ولا أجملت . فغضب المسلمون وقاموا إليه ، فأشار إليهم أن كفوا ، ثم قام فدخل منزله ثم أرسل إلى الأعرابى فدعاه إلى البيت فأعطاه شيئاً فقال : أرضيت ؟ فقال
فأعطاه أيضاً فقال : أرضيت ؟ فقال : نعم نرضى ، فقال عليه السلام : إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفى أنفس المسلمين شىء من ذلك ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب عن صدورهم ما فيها ، فقال : نعم ، فلما كان الغداة أو العشى جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن صاحبكم هذا كان جائعاً فسألنا فأعطيناه فزعم أنه رضى . أكذلك ؟ فقال الأعرابى : أى نعم جزاك الله تعالى عن أهل وعشيرة خيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن

مثلي ومثلكم كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا ، فناداهم صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها ، فتوجه لها صاحبها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فجاءت واستناخت فشد عليها رحلها واستوى عليها ، وأنا لو تركتكم حين قال الرجل ماقال فقتلتموه دخل النار ، فما زلت حتى فعلت ما فعلت ) .

وعن الشعبي قال : لما نزل قوله تعالى : ( **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** )[١] ، قال صلوات الله وسلامه عليه : ( ما تأويل هذه الآية يا جبريل ؟ ) قال : لا أدرى حتى أسأل العالم ، فصعد ثم نزل فقال : يا محمد إن الله تبارك وتعالى أمر أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك .

وروى ابن حبان عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يقبض يوم حنين من فضة فى ثوب بلال ويفرقها ، فقال له رجل : يارسول الله اعدل ، فقال : ( ويحك من يعدل إذا لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن كنت لا أعدل ) فقال عمر : أأضرب عنقه فإنه منافق ؟ فقال : ( معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى ) .

واستدان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد أحبار اليهود ديناً إلى أجل فأتاه الدائن قبل حلول الأجل بيومين أو ثلاثة وقال : يا محمد ألا تقضينى حقى ؟ فوالله إنكم يا بنى عبد المطلب لمطل ، وقد كان لى بمخالطتكم علم ، فقال عمر : أى عدو الله ، أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع ؟ فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك . ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : ( أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا ياعمر ، تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التباعة ، اذهب ياعمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روّعته ) ، ففعل عمر .

هذا بعض ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرحمة والسماحة والعفو

---

(١) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

عن المسىء واللين والتودد، وصدق عليه الصلاة والسلام حيث قال : ( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) وصدقت زوجه عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عن أخلاقه فقالت : كان خلقه القرآن .

واقتدى به أصحابه وساروا على نهجه وسلكوا طريقته ، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يرى شيخاً ضريراً يسأل الناس الصدقة فى طرقات المدينة فضرب عضده من خلفه وقال له : من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى ، قال عمر : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذه عمر بيده إلى منزله وقدم له طعاماً وأعطاه شيئاً من المال ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له : انظر هذا وضرباءه ( وأمثاله ) فوالله ما أنصفناه ، أكلنا شبيبته ثم نخذلناه عند الهرم . ورتب له الخازن معاشاً شهرياً .

وأتى عمر بمال كثير من مال الجزية فقال : إنى لأظنكم قد أهلكتم الناس : قالوا : لا والله ما أخذنا إلا عفوا صفوا ، قال : بلا سوط ولا نوط ؟ أى بلا ضرب ولا تعليق ؟ قالوا : نعم . قال : الحمد لله الذى لم يجعل ذلك علىّ ولا فى سلطانى .

يقول الراهب ( ميشو ) فى كتابه ( رحلة دينية إلى الشرق ) : ومن المؤسف ألا تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذى هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين وعدم فرض أى معتقد عليهم بالقوة .

وتقول الدكتورة ( زيغفريد هونكة ) فى كتابها ( شمس العرب تسطع على الغرب ) : ولعل أهم انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم حتى إن الملك الفارسي ( كيروس ) قال : إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون مخربين ، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب ما هو إلا أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف الأدلة .

وها هو المقوقس عظيم القبط بمصر وهو يرد على كتاب النبى صلى الله عليه وسلم رداً حسناً ويهدى إليه جارية ( مارية ) وعسلا وبغلة يقول : ( إنى نظرت فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولاينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ) .

## وثيقة عمر لنصارى بيت المقدس

كتب الخليفة عمر بن الخطاب لنصارى بيت المقدس حين قدم إلى فلسطين فاتحاً لها سنة ١٥ هجرية (٦٣٧ م) كتب لهم وثيقة بالأمان بعد أن استقبله البطريرك (صفرونيوس) مع رهبانه بمزيد من الحفاوة والإكرام :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لاتسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولايسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم أمن وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

وبينما كان الخليفة عمر يجلس مع البطريرك (صفرونيوس) فى كنيسة القيامة وجبت الصلاة فأشار إلى عمر أن يصلى داخل الكنيسة، فأبى عمر وصلى خارجها خشية أن يستولى عليها المسلمون فيما بعد ويقولوا : هنا صلى عمر .

وحينما كان عمر يبحث شئون مدينة بيت المقدس وعما أصاب أهلها من ظلم وضيم أثناء الفتح أتاه رجل من النصارى وشكا إليه ما فعله المسلمون فى حديقته وقال : يا أمير المؤمنين كرمى كان فى أيديهم فوقعوا فيه واستولوا على ما فيه من الفاكهة .

فدعا عمر ببرذون (حمار) فركبه عرياناً من العجلة وخرج مع الذمى يركض فكان أول ما لقيه أبا هريرة يحمل فوق رأسه عنباً فقال له : أنت أيضاً يا أبا هريرة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أصابتنا مخمصة (مجاعة) شديدة فكان أحق ما أكلنا من ماله من قاتلنا ، فتركه عمر ثم أتى إلى الكرم فنظره فإذا هو قد أسرعت الناس فيه ، فدعا عمر الذمى وقال له : كم كنت ترجو من غلة كرمك هذا ؟ فقال شيئاً ، قال : فخل سبيله ، ثم أخرج عمر ثمنه الذى قال له فأعطاه إياه ، ثم أباحه للمسلمين .

ومر عمر عند مقدمه إلى الجابية من أرض دمشق بقوم مرضى بالجذام من النصارى فأمر أن يجرى عليهم القوت .

## الجزيــة

قد يكون فى نفوس بعض المسيحيين غضاضة مما يسمى بالجزية التى فرضها الإسلام عليهم ، والذى يشهد له الواقع أن الإسلام راعى منتهى العدالة فى هذه الجزية فهى جزء ضئيل من الضرائب تأخذها الدولة سنوياً من المواطنين للقيام بالمصالح العامة والخدمات العديدة فى التعليم والصحة وغيرهما لجميع المواطنين وتأخذ من المسلمين فى مقابل ما تأخذه من الجزية زكاة أموالهم ، وهى تبلغ أضعاف أضعاف هذه الجزية ، فعلى كل مسلم دون غيره إخراج الزكاة كل عام وتصل فى بعض الأحوال إلى ١٠٪ ولاتقل عن ٢,٥٪ وحصيلة هذه الضريبة آلاف وملايين من الدنانير والجنيهات .

أما الجزية على أهل الذمة كما فرضها عمر فهى ٤٨ درهماً فى العام على الغنى منهم ونصف هذا القدر على متوسط الغنى وربعه على الفقير بشرط أن يكون صانعاً أوعاملا مستطيعاً وإلا سقطت عنه ، وقد يكون من بين أهل الذمة من يملك الملايين ورغم ذلك لاتلزمه الدولة بدفع شىء زيادة على هذا المبلغ البسيط .

ويعفى من هذه الضريبة الصبيان والنساء والمجانين والأعمى والمريض بمرض مزمن والشيوخ والرهبان فى صوامعهم ، وفى مقابل هذه الضريبة تعطيهم الدولة امتيازات لاتعطيها لرعاياها من المسلمين ، فلا تجندهم للقتال ويلتزم الحاكم بالدفاع عنهم والمحافظة على دمائهم وأموالهم ومنع الأذى عنهم .

وتروى لنا كتب التاريخ أن القائد الإسلامى أمين هذه الأمة أبا عبيدة بن الجراح حينما عجز عن الدفاع عن أهل الذمة فى فلسطين أمر برد أموالهم التى دفعوها كجزية ، وفى هذا العصر أصبح التجنيد إجبارياً لكل شاب يبلغ الثامنة عشرة من العمر بلاتفرقة بين مسلم وغير مسلم ، ويقوم جميع المواطنين بالدفاع عن الوطن ويبذلون دماءهم رخيصة فى الذود عنه ، وحطموا حصن بارليف فى ساعات فى حرب العاشر من رمضان تحت راية الله أكبر ، وشارك الشباب المسيحى زملاءهم من الشباب المسلم فى جميع الحروب التى أثارها المستعمرون لاحتلال الوطن ، ولنا فيما فعله القائد الإسلامى

أبو عبيدة من إسقاط الجزية عن نصارى فلسطين قدوة طيبة وأسوة حسنة وهو من كبار الصحابة وأمين هذه الأمة ، والجزية تؤخذ منهم حينما يلتزم المسلمون بالدفاع عنهم ولا يشتركون معنا فى القيام بهذا الواجب المقدس ، أما إذا اشتركوا معنا فى الدفاع عن الوطن وقاموا بهذا الواجب فلا معنى لمطالبتهم بهذه الجزية .

ويعجبنى فى هذا المقام ما قرأته فى كتاب ( فقه الزكاة ) الجزء الأول صفحة ٩٥ وما بعدها للعالم الجليل والفقيه المجتهد الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى عميد كلية الشريعة بدولة قطر ، نقتطف منه بعض الفقرات :

١ — الواقع الماثل الآن فى البلاد الإسلامية أن أهل الكتاب لا يدفعون الجزية ويأنفون من هذا الاسم ، فهل يمكن أن يدفعوا بدلا منها ضريبة على وفق مقادير الزكاة وإن لم تسم باسمها ؟

٢ — روى أن الخليفة عمر بن الخطاب أخذ من نصارى بنى تغلب ضريبة باسم الصدقة لنفورهم من عنوان الجزية ، وضاعف عليهم مقادير الصدقة الواجبة على المسلمين وفقاً لطلبهم الذى صولحوا على أساسه ، وقد أقره من معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

٣ — لم لا يجوز أن نفرض ضريبة على أهل الكتاب فى البلاد الإسلامية فى هذا العصر تقوم مقام الجزية التى طالبهم بها النظام الإسلامى مقابل ما فى أعناق المسلمين من الزكاة ؟ لم لا يجوز فرض هذه الضريبة بعد مشورة أهل الرأى من المسلمين ومنهم ؟ .

٤ — أعتقد أن هدى عمر هنا نبراس يضىء الطريق لمن أراد أن يتخذ من هذا الأمر قراراً على ضوء ظروف العصر ومشكلاته .

٥ — وتضعيف مقدار الزكاة على أهل الكتاب ليس أمراً لازماً وإنما فعل عمر ذلك مع بنى تغلب لأنهم هم الذين طلبوا ذلك ووقع عليه الصلح والتزموا به ، وهو أمر يرجع إلى السياسة الشرعية ومقتضيات المصلحة العامة للدين والدولة .

٦ — وقد أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين ، وروى أن عمر قال : سموها ماشئتم . وحينئذ تسمى ضريبة التكافل الاجتماعى مثلا ، أو نحو ذلك من الأسماء حتى تتميز عن الزكاة الإسلامية ، فلا تحرج ضمائرهم ولا ضمائر المسلمين . ا — هـ .

## حـــد غير المسلم

اختلف الأئمة الفقهاء فى إقامة الحدود على غير المسلمين من المواطنين وهم الذين يطلق عليهم أهل الذمة من اليهود والنصارى ، وهذا الخلاف واقع فى غير حد الردة فلا يقام عليهم اتفاقا .

قال الإمام مالك : لايقام حد الزنا على الذمى ولكنه يدفع إلى أهل دينه ليقيموا عليه ما يعتقدون من العقوبة ، وحجته ما روى عن عمر وعلى رضى الله عنهما لما سئلا عن ذميين زنيا فقالا : يدفعان إلى أهل دينهما ، وكذلك الحكم عنده إذا شرب الذمى الخمر فلا حد عليه فيها،ووافقه على ما ذهب إليه من الحنفية محمد بن الحسن وقال : لا أمنع الذمى من الزنا وشرب الخمر — وروى عن ابن القاسم : أنه إذا تحاكم أهل الذمة إلى حاكم المسلمين ورضى الخصمان به جميعاً فلا يحكم بينهما إلا برضا من أساقفتهما ، فإن كره أساقفتهما فلا يحكم بينهما ، وكذا إذا رضى الأساقفة ولم يرض المتحاكمان أو أحدهما لم يحكم بينهما ، وذهب الأئمة الثلاثة : الحنفية والشافعية والحنابلة إلى وجوب إقامة حد الزنا على الذمى ، واستدلوا بما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام حد الزنا على اليهوديين الزانيين ورجمهما وكانا ذميين ، ولأن الذمى من أهل دارنا وملتزم بأحكامنا فيما يرجع إلى المعاملات ، وهو يعتقد حرمة الزنا كما يعتقدها المسلم ، فيقام عليه حد الزنا كما يقام على المسلم ، ويمكن أن نضيف إلى هذا — تأييداً له — أننا لانجد دولة أوروبية أو أمريكية تستثنى من تطبيق قوانينها أحداً يقيم على أرضها بأى سبب من الأسباب،ولاتفرق فى ذلك بين دين أوجنس . وهذا الخلاف واقع فى حد الزنا ، وأما حد شرب الخمر فالأئمة الأربعة متفقون على عدم إقامته على غير المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم فى أهل الذمة : ( اتركوهم وما يدينون ، الخمر لهم كالخل لنا والخنزير لهم كالشاة لنا ) .

وحد الزنا إذا كان رجماً لايقام على الذمى عند الحنفية لاشتراطهم الإسلام فى اعتبار الزانى محصناً ، بخلاف ما إذا كان حده جلداً بلا تفرقة .

والمستأمن الذى يدخل دار الإسلام بأمان وإذن مؤقت بمدة معينة لتجارة أو لسياحة أو غيرهما ثم يعود إلى داره لايقام عليه حد الشرب اتفاقاً ، وكذا لايقام عليه حد الزنا عند أبى حنيفة ، واحتج بقوله تعالى :

**( وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه )**

فتبليغ المستأمن داره التى يأمن فيها واجب على الحاكم المسلم بهذا النص حقاً لله تعالى ، وفى إقامة الحد عليه تفويت ذلك الواجب ، ولأن المستأمن لم يلتزم شيئاً من حقوق الله تعالى ، لأنه دخل دارنا تاجراً أو سائحاً أو خبيراً ثم يرجع إلى داره ولايحل لنا منعه من الرجوع إلى دار الحرب .

وعند الإمام الشافعى يقام عليه حد الزنا ، لأنه ما دام فى دارنا فهو ملتزم بأحكام ديننا فيما يرجع إلى المعاملات كالذمى ، ألا ترى أنه يقام عليه القصاص إذا وقع منه القتل عمداً ، ولأن هذه الحدود تقام تطهيراً الأرض من الفساد وصيانة لدار الإسلام ، فإذا لم نقم الحد على المستأمن فكأننا أبحنا له الاستخفاف بديننا ونحن ما أعطيناه الأمان ليستخف بالمسلمين ، بخلاف حد الشرب فإنه لايقام عليه ولا على الذمى ، لأنهما يعتقدان إباحة شرب الخمر ، وقد أعطيناهم الأمان على أن نتركهم وما يدينون .

وحد القذف يقام على القاذف سواء كان المقذوف مسلماً أو ذمياً ، لأن الغالب فيه حق العباد ، وقال الإمام أبو حنيفة : لايقام حد القذف على القاذف إذا كان المقذوف غير مسلم ، لأنه يشترط الإسلام فى اعتبار المقذوف محصناً ، والإسلام شرط فى الإحصان .

وأما حد السرقة فمن مصلحة المجتمع كله أن يقام على جميع اللصوص بلا تفرقة بين مسلم وغير مسلم صيانة لكرامة الإنسان وتهذيباً للسلوك البشرى وحفاظاً على الأموال واستتباباً للأمن والاستقرار ، وتمكيناً للشعور بالطمأنينة ، وقضاء على أهم أسباب الجريمة فى المجتمع .

ومن مزايا التشريع الإسلامى أن له من المرونة ومراعاة الظروف والأحوال ما يجعله صالحاً لكل زمان ومكان [1] .

---

(١) من كتاب ( تلك حدود الله ) للمؤلف .

## ذكريات لبنانية فى السماحة

كنت مبعوثاً للأزهر فى الستينيات لكلية المقاصد الإسلامية بصيدا عاصمة الجنوب اللبنانى ، وقبيل حلول عيد الميلاد المجيد اقترحت على عميد الكلية أن نقوم نحن معاشر المسلمين فى صيدا بتهنئة المواطنين المسيحيين بعيد الميلاد ، فأبدى دهشته وقال : لم يسبق لنا مثل هذا بيننا وبين النصارى ، فقلت له : إن الإسلام لا يمنع المجاملات والتآلف والترابط والتواد وتبادل الزيارات فى المناسبات الدينية وفى الأفراح والأحزان بين المسلمين ومواطنيهم من أهل الكتاب ، فاشترط سيادته على شرطاً ظن أننى أرفضه وقال : إنه لا مانع عندى من ذلك إذا صاحبتنا فى هذه الزيارات ، فأبديت ترحيبى بذلك . وفى صباح عيد الميلاد نظرت من نافذة مسكنى وإذا بصف طويل من السيارات الخاصة تضم أعيان المدينة ووجهاءها يطلبون منى النزول والانضمام إليهم ، فأسرعت بتلبية طلبهم ، وركبت السيارة الأولى فى الركب وطفنا على الكنائس وجلسنا مع أساقفتها وتبادلنا معهم الأحاديث الودية ، وما تدعو إليه الأديان السماوية من التآلف والتعاون وحسن المعاملة . .

ثم بعد أيام قليلة حل عيد الأضحى ، وبينما نحن بالمسجد الكبير المطل على البحر الأبيض فوجئنا بحضور القساوسة بملابسهم المعهودة يدخلون المسجد ويدخلون غرفة الإمام يستمعون خطبة العيد وينتظرون انتهاء صلاته ، ثم صافحونا فى حرارة وقدموا لنا التهنئة بالعيد الأكبر ، وقدمنا لهم ما يليق بالتحية .

ولم يكتفوا بذلك بل حضر بعضهم بعد قليل إلى منزلى لتكرار التهنئة والشكر على ما اقترحته من تبادل الزيارات والتهانى ، والمشاركة فى التفاهم والتقارب بين الأديان وشعور الجميع بالألفة والمودة .

## سماحـــة المسيحية

اشتهر المسيحيون بالتسامح والعفو والحلم والتواضع تطبيقاً لما فى أناجيلهم التى بين أيديهم .

فقد ورد فى إنجيل متى فى الإصحاح الخامس ما نصه : —

١ — أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين ؛ لأنه إذا أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ؟ أليس العشارون يفعلون ذلك ؟ وإن سلمتم على إخوانكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا ؟ فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل .

٢ — سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرك ميلا فاذهب معه ميلين اثنين ، من سألك فأعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

٣ — إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى ، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لايغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم .

وفى الإصحاح السادس من إنجيل لوقا يسجل الفقرات المذكورة فى إنجيل متى ويزيد عليه فى الإصحاح الرابع قوله : لماذا تنظر القذى فى عين أخيك أما الخشبة فى عينك فلا تفطن لها ؟ أو كيف تقدر أن تقول لأخيك : يا أخى دعنى أخرج القذى الذى فى عينك وأنت لاتنظر الخشبة التى فى عينك ؟ يامرائى أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذى فى عين أخيك .

هذا وقد نشرت صحيفة الأهرام بتاريخ ٥ ـ ٧ ـ ١٩٨٩ مقالا للكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل تحت عنوان : هل فى مصر مستقبل ؟ — يقول فيه : فى ليلة من ليالى شهر رمضان الأخيرة كما فى كل ليلة من رمضان فى كل سنة كنت ضيف إفطار على مائدة بابا الأقباط فى الكاتدرائية المرقصية الكبرى لدقائق قبل الإفطار كنا فى القاعة الرئيسية للمقر البابوى ، وكان هناك صوت قرآن يتلى ، ثم ارتفع صوت أذان يكبر الله وحده وينادى بمحمد رسوله ، بينما صليب كبير على الحائط وراء المائدة التى يجلس إليها بابا الأقباط نفسه وإلى جانبه من ناحية شيخ الأزهر ومن الناحية الأخرى مفتى الإسلام ، كان المشهد مؤثراً وأخاذاً ، وربما كان ما يجعله مؤثراً وأخاذاً أكثر هو الخلفية التى كان يجرى عليها مما هو حادث فى بعض أرجاء مصر وبخاصة صعيدها .

كان المشهد الأمامى وخلفيته وراءه صورة ملهمة لشعب يعرف كيف يحافظ على وحدته الوطنية فى ظروف عالمية تنحل فيها وحدة أوطان كثيرة بسبب دعاوى دينية وطائفية ومذهبية . وعندما يصل شعب إلى هذا الحد من الوعى او وحدته الوطنية فمعنى ذلك أن هناك مستقبلا . ونشرت الأهرام أيضاً بتاريخ ١٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٩ مقالا للأستاذ أميل بشاى مجلى موجه بالتعليم الثانوى بالزقازيق بعنوان ( حمانا الله وإياكم ) يقول فيه : لم يحرجنى سوى رسالة : ( هذا الحرج ) لكاتبها القارىء سمير بنايولى شاكياً فيها من إلزام ابنته بدراسة بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فى كتاب : القراءة بالمدرسة الابتدائية ، وقد ضايقنى حين قرأتها سطحية رأيه ، ولا ألومه فى ذلك ، لكنى أخذت على سيادته أنه اختار وقتاً سيئاً للغاية فى الخوض بلا حرص فى قضية هى أساساً تربوية مطلقة لا دخل فيها للمال والخوض فى الإسلام والمسيحية ، وأقول لسيادته : إذا كانت ثقافته أجنبية فإن لغة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة هى قمة البلاغة لدارس اللغة العربية ، وهى لغتنا الأصلية ، وإننا ونحن ندين بالمسيحية كان أساس موضوعات الإنشاء وقمة البلاغة فى كتاباتنا وسر تميزنا فى لغتنا العربية الرفيعة هو الاستشهاد ببيت شعر أو حديث شريف أو آية قرآنية كريمة ، ولم يكن هذا يضعف من تمسكنا بديننا أو معرفتنا بكتابنا المقدس ، ولم يكن على أيامنا ، وليس بعيداً كثيراً عما نراه اليوم من تزمت وفرقة ، بل كان هناك الحب والإخاء والتعاون

والمشاركة والترابط والمحبة ، لم يكن هناك التعصب والتخلف كما نرى فى هذه الأيام من بعض هواة إثارة النزعات والمتطرفين من الطرفين ، والحمد لله إنهم قلة جاهلة تتمسك بالقشور بعيداً عن المعرفة الحقيقية لمعانى الحياة ، وأعوذ بالله إذا وصفتها بأنها بعيدة كل البعد عن معرفة الله سبحانه وتعالى ، والله محبة ،والأديان السماوية تدعو للسماح والمجادلة بالحسنى ، ولكلٌ حرية الاختيار والعبادة ، وأقسم أننى كنت أحضر اجتماعات الإخوان المسلمين بدارهم بالزقازيق بعلمهم وبترحيب الإخوة الزملاء ، وكانت الاجتماعات كلها سماحة وحضا على التمسك بالدين دون المساس بشعور أحد ، وكان الحب رائد الجميع ،وحدث ذلك فى عام ١٩٥٠ . فلنعد إلى أخلاقنا وترابطنا ليعودالحب والوئام والخير يوم أن كان راعى الكنيسة حين ينصح يستشهد بآيات من القرآن والأحاديث النبوية الشريفة بجانب ضربه الأمثلة والحكم من الكتاب المقدس ، وكلها كتب مقدسة ومنزلة من عند الله سبحانه وتعالى ، وهدفها الأكبر ترسيخ الحب والتراحم والتقدم والاستقرار . حمانا الله وإياكم وبلادنا العزيزة شر الجهل وضعف العقول ، وتحيا مصر ، ويحيا راعى الوحدة الوطنية رئيسنا الإنسان المتزن الفاضل وعاش الهلال مع الصليب . أ . هـ .

وتأييداً لهذه الكلمة الطيبة أذكر أننى عاصرت المجاهد الكبير الأستاذ مكرم عبيد السكرتير العام لحزب الوفد قبل الثورة والذى كان يحفظ القرآن الكريم كله وكان لذلك مشهوراً بالخطابة والفصاحة والبلاغة ، وكانت الأغلبية من الشعب تقدره وتحبه وتعجب بفصاحته وخطبه ،ومن مآثره أنه كان وكيلا عن رجل اتهم بإلقاء قنبلة على قضيب السكة الحديد قبل مرور القطار الذى يستقله رئيس مجلس الوزراء وقتئذ المرحوم إسماعيل صدقى باشا ، وقال فى دفاعه عن المتهم أمام المحكمة : إذا قلت لكم إن المتهم برىء كذبتمونى ، وإذا قلت لكم إنه مدان صدقتمونى ، إذن فايحيا كذبى وليسقط صدقى .

وبهذه البراعة استطاع أن يهتف بسقوط الحكومة ولا يقع تحت طائلة القانون .

## خطباء ثورة ١٩١٩ :

كان الأزهر محفلا عاماً للخطابة ، وهو المكان الفسيح الذى لم تستطع السلطة العسكرية اقتحامه ومنع الاجتماعات العامة فيه ، ويرجع ذلك إلى مكانته ومنزلته الدينية ، فكان لذلك ميداناً يتبارى فيه الخطباء من كل الطبقات وقد ظهرت فيه شخصيات برزت بمواهبها الخطابية ، وكان بعضهم يسترعى الأسماع حقاً بخطبه الحماسية ، ومن الصعب أن نحصر هؤلاء الخطباء جميعاً ، ولكن من الممكن أن نذكر بعضهم ، فمنهم الشيخ مصطفى القاياتى والشيخ على سرور الزنكلونى والشيخ محمود أبو العيون والشيخ عبد ربه مفتاح والشيخ محمد عبد اللطيف دراز وكلهم من علماء الأزهر ، ثم القمص سرجيوس والقمص بولس غبريال ومحمد أبو شادى بك والدكتور زكى مبارك والدكتور محجوب ثابت[١] .

---

(١) من كتاب ثورة ١٩١٩ للمؤرخ عبد الرحمن الرافعى .

## موافقات بين الأناجيل والقرآن الكريم فى قصة مريم والمسيح

الأناجيل الخمسة وهى إنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا وإنجيل مرقس وإنجيل برنابا تشتمل على تعاليم وأحكام تتفق وما ورد فى القرآن الكريم وذلك فيما يأتى :

فى تاريخ ميلاد عيسى عليه السلام وكيفية حمل أمه السيدة مريم به لاتختلف عن بعضها عن بعض إلا فى الأسلوب .

ففى الإصحاح الأول من إنجيل متى ما نصه : أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا : لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف إذ كان رجلها كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذ ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : يا يوسف بن داود لاتخف أن تأخذ مريم امرأتك ، لأن الذى حبلت به فيها هو من الروح القدس ، فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم . فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب ، وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع .

وفى الإصحاح الأول من إنجيل لوقا يقول : أصابت القرعة زكريا أن يدخل هيكل الرب ويبخّر فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور ، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوفاً ، فقال له الملاك : لا تخف يازكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا (يحيى) ويكون لك فرح وابتهاج وكثير سيفرحون بولادته، لأنه يكون عظيماً أمام الرب ، وخمراً ومسكراً لايشرب ، ثم يقول زكريا : كيف أعلم هذا فأنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها ؟ فأجاب الملاك وقال له : أنا جبريل الواقف قدام الله ، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا ، وها أنت تكون صامتاً ولاتقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا ، لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته . وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل . فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه رأى رؤيا فى الهيكل ، فكان يومىء لهم

وبقى صامتاً . . إلى أن يقول : وفى الشهر السادس أرسل جبريل الملاك من الله إلى مدينة الخليل اسمها الناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم، فدخل عليها الملاك، وقال : سلام عليك أيتها المنعم عليها ، الرب معك مباركة أنت فى النساء ، لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ فقال لها الملاك : الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك..إلخ.

وفى إنجيل برنابا الفصل الأول بعنوان : بشرى جبريل للعذراء مريم بولادة المسيح ما نصه : لقد بعث الله فى هذه الأيام الأخيرة بالملاك جبريل إلى عذراء تدعى مريم من نسل داود من سبط يهوذا ، بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل طهر بدون أدنى ذنب ، المنزهة عن اللوم المثابرة على الصلاة مع الصوم يوماً وحدها ، وإذا بالملاك جبريل وقد دخل مخدعها وسلم عليها قائلا : ليكن الله معك يا مريم ، فارتاعت العذراء من ظهور الملاك ، ولكن الملاك سكن روعها قائلا : لاتخافى يا مريم : لأنك نلت نعمة من لدن الله الذى اختارك لتكونى أم نبى يبعثه إلى شعب إسرائيل ، ليسلكوا فى شرائعه بإخلاص ، فأجابت العذراء : وكيف ألد بنين وأنا لا أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك : يا مريم إن الله الذى صنع الإنسان من غير إنسان لقادر على أن يخلق فيك إنساناً من غير إنسان،لأنه لا محال عنده ، فأجابت مريم : إنى لعالمة أن الله قدير فلتكن مشيئته . فقال الملاك : كونى حاملا بالنبى الذى ستدعينه يسوع ، فامنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس ، لأن الطفل قدوس الله ، فانحنت مريم بضعة قائلة : هأنذا أمة الله ، فليكن بحسب كلمتك . فانصرف الملاك . أما العذراء فمجدت الله قائلة : اعرفى يا نفسى عظمة الله ، وافخرى يا روحى بالله مخلصة لأنه رمق ضعة أمته ، وستدعونى سائر الأمم مباركة ، لأن الله القدير صيرّنى عظيمة ، فليبارك اسمه القدوس، لأن رحمته تمتد من جيل إلى جيل للذين يتقونه،ولقد جعل يده قوية فبدّد المتكبر المعجب بنفسه ، ولقد أنزل الأعزاء عن كراسيهم ، ورفع المتضعين ، أشبع الجائع بالطيبات ، وصرف الغنى صفر اليدين ، لأنه يذكر الوعود التى وعد بها إبراهيم وابنه إلى الأبد .

وورد فى الفصل الثانى من إنجيل برنابا بعنوان : أنباء الملاك جبريل يوسف بحمل العذراء مريم ما نصه :

أما مريم فإذ كانت عالمة مشيئة الله وموجسة خيفة أن يغضب الشعب عليها لأنها حبلى فيرجمها كأنها ارتكبت الزنا ، واتخذت لها عشيراً من عشيرتها قويم السيرة يدعى يوسف ، لأنه كان باراً متقياً لله يتقرب إليه بالصيام والصلوات ، ويرتزق بعمل يديه لأنه كان نجاراً ، هذا هو الرجل الذى كانت تعرفه العذراء ، واتخذته عشيراً وكاشفته بالإلهام الإلهى .

ولما كان يوسف باراً عزم إذ رأى مريم حبلى على إبعادها ، لأنه كان يتقى الله وبينما هو نائم إذا بملاك الله يوبخه قائلا : لماذا عزمت على إبعاد امرأتك ؟ فاعلم أن ما كوّن فيها بمشيئة الله، فستلد العذراء ابنا وستدعونه يسوع ، وتمنع عنه الخمر والمسكر وكل لحم نجس ، لأنه قدوس الله من رحم أمه ، فإنه نبى من الله أرسل إلى شعب إسرائيل . ليحول يهوذا إلى قلبه ، ويسلك إسرائيل فى شريعة الرب . كما هو مكتوب فى ناموس موسى ، وسيجىء بقوة عظيمة يمنحها له الله ، وسيأتى بآيات عظيمة تفضى إلى خلاص كثيرين .

فلما استيقظ يوسف من النوم شكر الله وأقام مع مريم كل حياته خادماً لله بكل إخلاص .

وهذا الذى ذكرته الأناجيل ذكره الله تعالى — فى القرآن الكريم — فاقرأ إن شئت قوله تعالى فى سورة آل عمران :

**( إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت : رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى * وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا * قالت : هو**

من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب * هنالك دعا زكريا ربه * قال : رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء . . )

إلى أن يقول :

( وإذا قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين . . )

ثم يقول :

( إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين *ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين * قالت : رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال : كذلك الله يخلق ما يشاءإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لـكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم * وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم )[1] .

ويقول فى سورة مريم بعد ذكره لقصة زكريا عليه السلام :

( واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً*فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا * قالت : إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال : إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا * قالت : أنَّى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا * قال : كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله

(١) الآيات من ٣٢ ــ ٥١ .

آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا * فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا * فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا * فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا * فأتت به قومها تحمله قالوا: يامريم لقد جئت شيئاً فريا * ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت إليه * قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا * قال: إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركاً أين ماكنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا * والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا * ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون * ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * وإن الله ربى وربكم فاعبدوه * هذا صراط مستقيم )[1] .

---

(١) الآيات من ١٦ — ٣٦ .

## اتفاق الأناجيل مع القرآن فى بعض الأحكام

### ١ — الوحدانيـــة :

ورد فى الإصحاح الرابع من إنجيل متى ما نصه : ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جداً وأراه ممالك العالم ومجدها. وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى ، حينئذ قال له يسوع : اذهب ياشيطان ، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه .

وفى إنجيل لوقا الإصحاح الرابع ما نصه : قال إبليس ليسوع : إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزا ، فأجابه يسوع قائلا : ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة من الله ، ثم أصعده إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة فى لحظة من الزمان ، وقال له إبليس : لك أعطى هذا السلطان كله ومجدهن لأنه إلىّ قد دفع وأنا أعطيه لمن أريد ، فإن سجدت أمامى يكون لك الجميع ، فأجابه يسوع وقال : اذهب ياشيطان ، إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد .

وفى الإصحاح الثانى عشر من إنجيل مرقس ما نصه : قال يسوع : إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهك رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، هذه هى الوصية الأولى ، وثانية مثلها هى : تحب قريبك كنفسك ، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين . فقال له الكاتب : جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه .

وفى الفصل السابع من إنجيل برنابا ما نصه : قال يسوع : إن الله صلاح بدونه لاصلاح . إن الله موجود بدونه لا وجود ، إن الله حياة بدونه لا أحياء ، هو عظيم حتى إنه يملأ الجميع ،وهو فى كل مكان وهو وحده لاندّ له ولابداية ولا نهاية ، ولكنه جعل لكل شىء بداية وسيجعل لكل شىء نهاية ، لا أب ولا أم له ولاأبناء ولا إخوة ولا عشراء . ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشى ولا يتحرك ، ولكنه يدوم إلى الأبد بدون شبيه بشرى .

لأنه غير ذى جسد وغير مركب وغير مادى ، وأبسط البسائط ، وهو جواد لا يحب إلا الجود ، وبالاختصار أقول لك يا فيلبس : إنه لا يمكنك أن تراه وتعرفه على الأرض تمام المعرفة ، ولكنك ستراه فى مملكته إلى الأبد حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا .

وفى الفصل الثالث والثلاثين من هذا الإنجيل ما نصه : إن عبادة الأصنام هى أعظم خطيئة ، لأنها تجرد الإنسان من الإيمان فتجرده من الله بحيث لا تكون له محبة روحية ، ولكن كل خطيئة أخرى تترك للإنسان أمل نيل الرحمة، ولذلك أقول : إن عبادة الأصنام أعظم خطيئة .

وفى الفصلين الثانى والتسعين والثالث والتسعين : قال يسوع مخاطباً الجمهور الذى قالوا له : مرحباً بك يا إلهنا ، وأخذوا يسجدون له كما يسجدون لله : انصرفوا عنى أيها المجانين ، لأنى أخشى أن تفتح الأرض فاها وتبتلعنى وإياكم لكلامكم الممقوت ، ثم قال : إنكم قد ضللتم ضلالا عظيما أيها الإسرائيليون ، لأنكم دعوتمونى إلهكم وأنا إنسان، وإنى أخشى لهذا أن ينزل الله بالمدينة المقدسة وباء شديداً مسلماً إياها لاستعباد الغرباء ، لعن الله الشيطان الذى أغراكم بهذا ألف لعنة ، أشهد أمام السماء وأشهد أمام كل شىء على الأرض أنى برىء من كل ما قد قلتم ، لأنى إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله مكابد لشقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر .

متى جاء الله ليدين يكون كل كلامى كحسام يحرق من يؤمن بأنى أعظم من إنسان .

ونحن نكتفى بما نقلناه من الأناجيل الخمسة فى ثبوت الوحدانية لله تعالى ونفى الشريك له والابن والأب والأم وكل شبيه له من خلقه ، ووجوب إخلاص العبادة له وحده وترك ما سواه من الأصنام والتماثيل والكواكب والحيوانات وكل الآلهة الزائفة ، ثم ننقل بعد ذلك ما يوافق هذه المعانى والتعاليم من القرآن الكريم ، وليس

فى إمكاننا استيعاب كل ما ورد فيه وما يوافق هذه العقائد فالمقام لايتسع لذلك ، ولذا نقتصر على بعض منها :

يأمر الله تعالى نبيه محمدا صلوات الله وسلامه عليه أن يقول للناس فى سورة الإخلاص :

**( قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد )** .

ويقول فى سورة الكهف :

**( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحدا )**[1] ،

ويقول :

**( وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى فارهبون )**[2] ،

ويقول فى سورة مريم :

**( وقالوا اتخذالرحمنولداً*لقد جئتم شيئاً إدّا*تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا*أن دعوا للرحمنولدا*وما ينبغى للرحمنأن يتخذ ولدا )**[3]

وفى سورة الأنبياء :

**( أم اتخذوا آلهة من الأرضهم ينشرون*لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله عما يصفون * لايسأل عما يفعل وهم يسألون*أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لايعلمون الحقفهممعرضون* وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون )**[4] ،

---

(١) الآية ١١٠ .

(٢) سورة النحل آية ٥١ .

(٣) الآيات من ٨٨ — ٩٢ .

(٤) الآيات من : ٢١ — ٢٥ .

ويقول فى سورة المؤمنون :

( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون )(١) ،

وفى سورة المائدة :

( لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم )(٢) .

ويقول سبحانه فى سورة الذاريات :

( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين )(٣) .

ثم يقول :

( إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )(٤) .

ونحن نقول فى صلواتنا الخمس يومياً وفى كل ركعة :

( إياك نعبد وإياك نستعين )(٥) .

## ٢ — تحريم شرب الخمر :

ورد فى الإصحاح الأول من إنجيل لوقا ما نصه : قال ملاك الرب لزكريا : لاتخف يا زكريا ، امرأتك أليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لايشرب.

---

(١) الآية ٩١ .

(٢) الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) الآيات ٥٦ — ٥٨ .

(٤) سورة النساء آية ٤٨ .

(٥) سورة الفاتحة آية ٥ .

وفى الفصل الأول من إنجيل برنابا ما نصه : يقول الملاك لمريم : كونى حاملا بالنبى الذى ستدعينه يسوع ، فامنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس .

والله تعالى يقول فى سورة المائدة :

**( يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون )** [1] .

والأناجيل كلها تنهى عما نهى عنه الإسلام من المعاصى والسيئات كالقتل والسرقة والرياء والخيانة والرشا والغش ، ويطول بنا الكلام إذا تتبعنا ذلك فى هذه الديانات السماوية فنكتفى بما ذكرنا .

---

(١) الآيتـــــان ٩٠ ، ٩١ .

## ما يمتاز به إنجيل برنابا

إنجيل برنابا أحد الأناجيل الكثيرة التى تشتمل على أخبار وتعاليم عيسى بن مريم عليه السلام، ورجال الكنيسة اختاروا منها أربعة هى : إنجيل متّى ولوقا ومرقس ويوحنا وحرمت على أتباعها قراءة إنجيل برنابا بين ما حرمته عليهم من كتب أخرى بزعم أن فيها انحرافات وتتنافى مع عقائدهم ، وليس لأحد منا الاعتراض على ما اختاروا ولا على ما حرموا فلهم دينهم ولنا ديننا .

وبرنابا حوارى من أنصار المسيح عليه السلام الذين يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل وقام بترجمة إنجيله من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية الدكتور خليل سعادة ، وطبع على نفقة السيد رشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده ومنشىء مجلة المنار وصاحب تفسير المنـــار .

والقارىء لهذا الإنجيل لايرى فيه ما يخالف الأناجيل الأخرى من البشارة بعيسى عليه السلام وكيفية ولادته وما جاء به من عند الله من تعاليم وهداية لبنى إسرائيل ومقاومتهم لهذه التعاليم وجحودهم لها والسعى فى قتله وصلبه وما أجراه الله على يديه من معجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص وغير ذلك .

ولكن يخالفها فى أمور ثلاثة فقط هى : ١ — التوحيد . ٢ — عدم صلب المسيح . ٣ — البشارة بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وإلى القارىء الكريم موجزاً لها .

### ١ — التـــوحيـــد :

ذكر برنابا فى إنجيله الفصل ١٢٨ فى توحيد الله ما نصه : أقول لكم أيها الإخوة : إننى أنا الذى هو إنسان من تراب وطين يمشى على الأرض ، أقول لكم : جاهدوا أنفسكم واعرفوا خطاياكم ، أقول لكم أيها الإخوة : إن الشيطان ضللكم بواسطة الجنود الرومانية عندما قلتم : إننى أنا الله ، فاحذروا من أن تصدقوهم ، لأنهم واقعون تحت لعنة الله ، وعابدون الآلهة الباطلة الــكاذبة .

أراد الشيطان أن يضلكم أيها الإخوة إذ حملكم على التصديق بأنى أنا الله ، فإنى وأنا لا طاقة لى أن أخلق ذبابة ، بل زائل وفان لاأقدر أن أعطيكم شيئاً نافعاً ، لأننى أنا نفسى فى حاجة إلى كل شىء ، فكيف أقدر إذاً أن أعينكم فى كل شىء كما هو شأن الله أن يفعل .

وفى الفصل الخامس عشر : قال يسوع : أيخيَّل لكم أن الله قد خلق رسوله ليكون ندّا له ، يريد أن يجعل نفسه مساوياً لله ؟ كلا ثم كلا ، بل عبده الصالح الذى لايريد ما لايريده الله .

وفى الفصل ٩١ مانصه : وحدث فى هذا الزمن اضطراب عظيم فى اليهودية كلها لأجل يسوع ، لأن الجنود الرومانية أثارت بعمل الشيطان العبرانيين قائلين : إن يسوع هو الله قد جاء لينقذهم ، فحدثت بسبب ذلك فتنة كبرى ، حتى إن اليهودية كلها تدججت بالسلاح مدة الأربعين يوماً ، فقام الابن على الأب والأخ على الأخ ، لأن فريقاً قال : إن يسوع هو الله قد جاء إلى العالم ، وقال فريق آخر : كلا بل هو ابن الله ، وقال آخرون : كلا ، لأنه ليس لله شبه بشرى ، ولذلك لا يلد ، بل إن يسوع الناصرى نبى الله .

وقد ذكرت فيما سبق بعض الآيات القرآنية المثبتة لوحدانية الله ، وإخلاص العبادة له سبحانه ونفى الشريك .

## ٢ — وما قتلوه ومـــا صلبوه :

النقطة الثانية التى يخالف فيها إنجيل برنابا الأناجيل الأربعة هى : نفى الصلب عن عيسى عليه السلام ، ففى الفصل ٢١٤ وما بعده يقول فى قصة طويلة عن كيفية القبض على يسوع وإلقاء شبهه على الخائن ( يهوذا الاسخريوطى ) وتقديمه للمحاكمة والإهانة والسخرية به ثم صلبه ثم قيامه من قبره ورفعه إلى السماء ما لا يتسع المقام لذكره ، ولذا نكتفى بذكر فقرات موجزة من هذه القصة .

خرج يسوع من البيت ومال إلى البستان ليصلي فجثا على ركبتيه مائة مرة معفراً وجهه كعادته في الصلاة ، ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذي كان فيه يسوع مع تلاميذه ذهب إلى رئيس الكهنة وقال : إذا أعطيتني ماوعدت به أسلّم هذه الليلة ليدك يسوع الذي تطلبونه ، لأنه متفرد مع أحد عشر رفيقا . أجاب رئيس الكهنة : كم تطلب ؟ قال يهوذا : ثلاثين قطعة من الذهب ، فحينئذ عدّ له رئيس الكهنة النقود فوراً وأرسل إلى الوالي ليرسل جنوداً ، فأعطاه كتيباً منهم بأسلحتهم ، وخرجوا من أورشليم بالمشاعل والأصابيح على العصي ، ولما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم ، فأخذه الملائكة من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة ، ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياما ، فأتى الله بأمر عجيب ، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع ، حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع ، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ، ولذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا أنسيتنا الآن ، أما هو فقال مبتسماً : هل أنتم أغبياء حتى لاتعرفوا يهوذا الاسخريوطي ؟ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه ، فأخذوه وأوثقوه ساخرين منه قائلين :

يا سيدي لاتخف : لأننا قد أتينا لنجعلك ملكاً على إسرائيل . حتى إن كل واحد أغرب في الضحك ، معتقداً أنه الحقيقة يسوع وأنه يتظاهر بالجنون خوفاً من الموت ، لذلك عصب الكتبة عينيه بعصابة وقالوا له مستهزئين : قل لنا من ضربك ؟ ولطموه وبصقوا في وجهه .

وأمر رئيس الكهنة أن يؤتى بيسوع موثقاً أمامه ، ويسأله عن تلاميذه وعن تعليمه فلم يجب يهوذا بشيء في الموضوع كأنه جن ، حينئذ استحلفه رئيس الكهنة بإله إسرائيل الحي أن يقول له الحق . أجاب يهوذا : لقد قلت لكم إني يهوذا الإسخريوطي ، الذي وعد أن يسلم إلى أيديكم يسوع الناصري ، أما أنتم فلا أدري بأي حيلة قد جننتم ، لأنكم تريدون بكل وسيلة أن أكون أنا يسوع .

أجاب رئيس الكهنة : أيها الضال المضل ، لقد ضللت كل إسرائيل بتعليمك وآياتك الكاذبة مبتدئاً من الجليل حتى أورشليم هنا ، أفيخيل لك الآن أن تنجو من العقاب الذى تستحقه،والذى أنت أهل له بالتظاهر بالجنون ؟ لعمر الله إنك لاتنجو منه . وبعد أن قال هذا أمر خدمه أن يوسعوه لطماً ورفساً لكى يعود عقله إلى رأسه ، وألبسوه لباس مشعوذ ، وأوسعوه ضرباً بأيديهم وأرجلهم . ثم جمعوا له شوكاً وصنعوا إكليلا شبيهاً بأكاليل الذهب والحجارة الكريمة التى يضعها الملوك على رؤوسهم ، ووضعوا إكليل الشوك على رأس يهوذا ، ووضعوا فى يده قصبة كصولجان وأجلسوه فى مكان عال ، ومر من أمامه الجنود حانين رؤوسهم تهكماً ، مؤدين له السلام كأنه ملك اليهود ، وبسطوا أيديهم لينالوا الهبات التى اعتاد إعطاءها الملوك الجدد ، فلما لم ينالوا شيئاً ضربوا يهوذا قائلين : كيف تكون إذاً متوجاً أيها الملك إذا كنت لاتهب الجنود والخدم ؟ ثم قادوه إلى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شنق المجرمين ، وهناك صلبوه عريانا مبالغة فى تحقيره ، ولم يفعل يهوذا شيئاً سوى الصراخ : يا الله لماذا تركتنى ؟ فإن المجرم قد نجا ، أما أنا فأموت ظلما .

وصعد الملائكة الذين كانوا حراساً على مريم إلى السماء الثالثة حيث كان يسوع فى صحبة الملائكة وقصوا عليه كل شىء . لذلك ضرع يسوع إلى الله أن يرى أمه وتلاميذه فأمر حينئذ الرحمن ملائكته المقربين الذين هم جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل أن يحملوا يسوع إلى بيت المقدس،وأن يحرسوه هنك مدة ثلاثة أيام متوالية ، وأن لايسمحوا لأحد أن يراه خلا الذين آمنوا بتعليمه . فجاء يسوع محفوفاً بالسنا إلى الغرفة التى أقامت فيها مريم العذراء مع أختيها ، فأنهض أمه والآخرين عن الأرض قائلا : لاتخافوا لأنى أنا يسوع ولاتبكوا، فإنى حى لاميت ، فقالت حينئذ العذراء باكية : قل لى يا بنى لماذا سمح الله بموتك ملحقاً العار بأقربائك وأخلائك ، وملحقاً العار بتعليمك،وقد أعطاك الله قوة على إحياء الموتى ، فإن كل من يحبك كان كميت؟ أجاب يسوع معانقاً أمه : صدقينى يا أماه لأنى أقول لك بالحق أنى لم أمت قط ، لأن الله قد حفظنى إلى قرب انقضاء العالم . ثم قص الملائكة الأربعة على العذراء كيف أن الله أرسل إلى يسوع وغيّر صورة يهوذا ليكابد العذاب الذى باع له آخر .

حينئذ قال الذى يكتب : يا معلم أيجوز لى أن أسألك الآن كما كان يجوز عندما كنت مقيماً معنا ؟ أجاب يسوع : سل ما شئت يابرنابا أجبك . فقال حينئذ الذى يكتب : يا معلم إذا كان الله رحيماً فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتاً ، ولقد بكت أمك حتى أشرفت على الموت ، وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجمجمة وأنت قدوس الله ؟

أجاب يسوع : صدقنى يا برنابا أن الله يعاقب على كل خطيئة مهما كانت طفيفة عقاباً عظيماً ، لأن الله يغضب من الخطيئة ، فلذلك لما كانت أمى وتلاميذى الأمناء الذين كانوا معى أحبونى قليلا حباً عالمياً أراد الله البَرّ أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر حتى لايعاقب عليه بلهب الجحيم ، فلما كان الناس قد دعونى الله وابن الله على أنى كنت بريئاً فى العالم أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أننى أنا الذى مت على الصليب ، لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة . وسيبقى هذا إلى أن يأتى محمد رسول الله الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله .

والتفت يسوع إلى الذى يكتب وقال : يا برنابا عليك أن تكتب إنجيلى حتماً وما حدث فى شأنى مدة وجودى فى العالم ، واكتب ما حل بيهوذا ، ليزول انخداع المؤمنين ويصدق كل أحد الحق . ثم أوصانا يسوع أن ندعو تلاميذه المخلصين ليروه ،

وفى اليوم الثالث قال يسوع : اذهبوا مع أمى إلى جبل الزيتون ، لأننى أصعد من هناك أيضاً إلى السماء ، وسترون من يحملنى . وبينما كان الجميع وقوفاً للصلاة جاء يسوع وقت الظهيرة مع جم غفير من الملائكة الذين كانوا يسبحون الله فطاروا فرقاً من سنا وجهه فخروا على وجوههم إلى الأرض ، ولكن يسوع أنهضهم وعزاهم قائلا : لاتخافوا أنا معلمكم ، ووبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات وقام قائلا : أتحسبوننى أنا الله كاذبين ، لأن الله وهبنى أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم كما قد قلت لكم ، الحق أقول لكم إنى لم أمت بل يهوذا الخائن — احذروا الآن الشيطان ، سيحاول جهده أن يخدعكم ، ولكن كونوا شهودى فى كل إسرائيل وفى العالم لكل الأشياء التى رأيتموها وسمعتموها . . وبعد أن قال هذا صلّى لله لأجل خلاص المؤمنين

وتجديد الخطاة ، فلما انتهت الصلاة عانق أمه قائلا : سلام لك يا أمى ، توكلى على الله الذى خلقك وخلقنى . وبعد أن قال هذا التفت إلى تلاميذه قائلا : لتكن نعمة الله ورحمته معكم . ثم حملته الملائكة أمام أعينهم إلى السماء .

وبعد أن انطلق يسوع تفرقت التلاميذ فى أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة . أما الحق المكروه من الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هى الحال دائماً ، فإن فريقاً من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشّروا بأن يسوع مات ولم يقم ، وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام ، وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله ، وقد خدع فى عدادهم بولص ، وأما نحن فإنما نبشر بما كتبت الذين يخافون الله ليخلصوا فى اليوم الأخير لدينونة الله : آمين .

وجاء فى القرآن الكريم ما يصدق ما ذكر فى إنجيل برنابا من نفى الصلب عن عيسى عليه السلام ، فقال سبحانه فى شأن اليهود :

**( فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا )** [1] .

---

(١) سورة النساء الآيات من ١٥٥ — ١٥٩ .

## البشارة بمحمد عليه الصلاة والسلام

الأمر الثالث الذى يخالف فيه إنجيل برنابا الأناجيل الأخرى هو البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فورد فى إنجيله نصوص كثيرة فى البشارة بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ، منها ما ذكر فى الفصل التاسع والثلاثين : لما انتصب آدم على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس ، نصها : ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) ففتح حينئذ فاه وقال : أشكرك أيها الرب إلهى لأنك تفضلت فخلقتنى ، ولكن أضرع إليك أن تنبئنى ما معنى هذه الكلمات : محمد رسول الله . فأجاب الله : مرحباً بك يا عبدى آدم أقول لك : إنك أول إنسان خلقت ، وهذا الذى رأيته إنما هو ابنك الذى سيأتى إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة ، وسيكون رسولى الذى لأجله خلقت كل الأشياء ، الذى متى جاء سيعطى نوراً للعالم الذى كانت نفسه موضوعة فى بهاء سماوى ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً .

وفى الفصل الثانى والأربعين : أجاب يسوع حين سأله بعض الكهنة : إن الآيات التى يفعلها الله على يدى تظهر أنى أتكلم بما يريد الله . ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون ، لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا ، الذى خلق قبلى وسيأتى بعدى ، وسيأتى بكلام الحق ، ولا يكون لدينه نهاية .

وفى الفصل الثالث والأربعين قال يسوع : الحق أقول لكم إن كل نبى متى جاء فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا إليه ، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه ، وسيأتى بقوة على الظالمين ، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان ، لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلا : انظر فإنى بنسلك أبارك قبائل الأرض ، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً هكذا يفعل نسلك .

وفى الفصل الرابع والأربعين قال يسوع : ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم ، صدقونى إنى رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي ، لأن الله يعطيهم روحه نبوة ، ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا : يا محمد ليكن الله وليجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك ، لأنى إذا قلت هذا صرت نبياً عظيماً وقدوس الله .

وفى الفصل السابع والتسعين قال يسوع : إن كلامكم لايعزينى ، لأنه يأتى ظلام حيث ترجون النور ،ولكن تعزيتى فى مجيء الرسول الذى سيبيد كل رأى كاذب فىّ، وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره ، لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم ، وأن ما يعزينى هو لانهاية لدينه ، لأن الله سيحفظه صحيحاً .

قال الكاهن : ماذا يسمى مسيا ؟ وما هى العلامة التى تعلن مجيئه ؟

أجاب يسوع : إن اسم مسيا عجيب ، لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها فى بهاء سماوى قال الله: اصبر يا محمد لأنى لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمعا غفيراً من الخلائق التى أهبها لك ، حتى إن من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً ، ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولى للخلاص ، وتكون كلمتك صادقة ، حتى إن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لايهن أبدا ، إن اسمه المبارك محمد .

حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا ألله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم .

وهذه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى إنجيل برنابا يصدق عليها قوله تعالى :

**( وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدىّ من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد )** [١].

قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد : لئن بعث محمد وهو حى

---

(١) سورة الصف آية ٦ .

لتتبعنه، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته : لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه ولينصرنه .

وروى الإمام أحمد : حدثنا لقمان بن عامر قال : سمعت أبا أمامة قال : قلت يارسول الله ماكان بدء أمرك؟ قال : (دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام) ، قال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام :

**(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم)[1] .**

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٩ .

## تمجيـــد الله للعقل

قال الله تعالى :

**( ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا )** [١]

أى جعلنا لهم شرفاً وفضلا وخلقناهم على هذه الهيئة فى امتداد القامة وجمال الصورة ، وحملناهم فى البر على وسائل النقل المختلفة من الدواب وغيرها من وسائل النقل الحديثة وفى البحر على السفن ، وميزناهم بالمطاعم والمشارب والملابس والأكل باليد . بخلاف غيرهم من المخلوقات وسائر الحيوانات وأكرمناهم بالنطق والتمييز وسلطناهم على سائر المخلوقات وتسخيرها لهم .

وأعظم ما ميز الله به الإنسان هو العقل فهو عمدة التكليف وبه يعرف الله ويفهم كلامه ، ثم بإرسال الرسل منهم إليهم وإنزال الكتب عليهم وجعلهم خلفاء عنه فى الأرض وأمر الملائكة بالسجود لأبيهم آدم ،وبإرزاقهم من الطيبات وتفضيلهم على كثير من مخلوقاته بالغلبة والاستيلاء والحفظ والتمييز ، وبدون العقل يسقط التكليف ، فالمجنون والنائم والصبى لاتكليف عليهم ولا مسئولية ولا إثم لقوله صلى الله عليه وسلم : ( رفع القلم عن ثلاث : عن الصبى حتى يحلم وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق ) . وأشاد سبحانه فى كتابه العزيز بالعقل ومجّد الفكر والإدراك فى آيات كثيرة فقال :

**( إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون )** [٢] ،

وقال :

**( إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون )** [٣] ،

---

(١) سورة الاسراء آية ٧٠ .
(٢) سورة الرعد آية ٤ .
(٣) سورة الرعد آية ٣

وقال :

**( أفلا تذكرون ) ، ( إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب )** [١] ،

وذم سبحانه الذين يهملون عقولهم ويعطلونها عن التفكير ويقلدون الآباء تقليداً أعمى فى آيات كثيرة أيضاً فقال :

**( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون * ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بمالايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون )** [٢] ، وقال : **( أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون )** [٣] ،

واعتبر سبحانه الذين يهملون العقل ويعطلون التفكير نوعاً ماحقاً بالبهائم والأنعام بل هم أدنى وأضل ، فقال :

**( ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها * أولئك كالأنعام بل هم أضل * أولئك هم الغافلون )** [٤] .

إن أعظم نعمة ميز الله بها الإنسان هى العقل ، فمن يرفض هذه النعمة ولم يستعمل عقله ويفكر فيما يعرض عليه من أمور وعقائد فقد ألحق نفسه مختاراً بالمجانين والصبيان والأنعام : فبهذا العقل وحده فضله الله على كثير من مخلوقاته وسخر له ما فى السموات

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠ .
(٢) سورة البقرة آية ١٧٠ ، ١٧١ .
(٣) سورة الزخرف من ٢١ — ٢٤ .
(٤) سورة الأعراف آية ١٧٩ .

وما فى الأرض لمنفعته وتيسير الحياة عليه وعمارة هذا الكوكب الأرضى فالإنسان ليس أضخم جسماً من الجمل أو الفيل ، ولا أشد قوة وشجاعة من الأسد وإنما بهذا العقل استطاع أن يسيطر على غيره ويستخدمه لمصلحته .

والله تعالى جعل العقل هو الأساس والدليل الأول على معرفته ووجوده والاعتراف بوحدانيته ، وأما الأدلة النقلية فليست أساساً فى معرفة الله وإنما هى مؤيدة فقط لما توصل إليه العقل ، فمن آمن بالله تعالى بناء على الدليل النقلى فقط ولم يؤمن به عن طريق العقل فهو ليس بمؤمن ولن يقبل الله منه هذا الإيمان .

ومنذ فجر التاريخ استعمل كثير من بنى آدم عقولهم وفكروا وقدروا فهداهم الله إلى الإيمان به وبرسله وقبول ما أتوا به من ربهم من الهدى والصلاح فسعدوا فى دنياهم وفازوا فى أخراهم بجنة عرضها السموات والأرض . ولا يكاد يوم يمر دون أن يسعد بهداية العقل عدد كثير فى كل عصر وفى كل مكان ، ولا تزال لجان الفتوى بالأزهر ودار إفتاء الجمهورية وفى غيرهما من دور العلماء فى الدول العربية والإسلامية تزخر بالوافدين إليها راغبين فى الدخول فى دين الله رجالا ونساء من المصريين ومن دول أوربية وأمريكية شرقية أوغربية وأيضاً من بعض المستشرقين الذين وقفوا حياتهم على البحث والتنقيب والمقارنة بين الأديان فاهتدوا إلى الحق ورجعوا عن عقائدهم وعقائد آبائهم وأجدادهم لما رأوا فيها من انحراف وبعد عن الحق ومن بين هؤلاء ( رجاء جارودى ) الفيلسوف الفرنسى الذى كان مسيحياً ومن أبوين مسيحيين ثم كان شيوعياً وأخيراً هداه عقله الحر إلى اعتناق أديان السماء فأعلن إسلامه .

ورأيت فى باريس سنة ١٩٦٨ م بعد أداء صلاة الجمعة فى مسجدها الشهير فتياناً وفتيات فى أحد صالوناته الواسعة اعتنقوا الإسلام وبعد انتهاء صلاتهم يجتمعون مع إمام المسجد المبعوث من وزارة الأوقاف المصرية يتلقون عليه كثيراً من أحكام الإسلام وسماحته وسلوكياته، وفى كل أسبوع يزيدون ويكثرون والحمد لله .

وليس هذا قاصراً على فرنسا بل فى أغلب دول أوروبا وأمريكا فى كل منها آلاف وملايين من مواطنيها ومن المهاجرين إليها العاملين بها من بلاد إسلامية وأنشئت بها

مساجد وجمعيات كثيرة يقيمون فيها الصلوات الخمس والاحتفالات الدينية وأقاموا بها أيضاً مدارس لتعليم اللغة العربية وأحكام الدين .

ودخول هذه الملايين إلى دين الله هو نتيجة طبيعية لحرية العقيدة وتحرير العقول والعزوف عن مباذل الحضارة ومفاسدها ورفع القيود والأغلال عن البحث والتفكير والتعصب الممقوت .

وفى مصر العزيزة كعبة العلوم الدينية ومقر الأزهر الشريف علماء ومثقفون لا يحصيهم العدد أعلنوا إسلامهم أو أخفوه فى قلوبهم بعد اقتناعهم بمبادئه وتعاليمه ووضوحه ودعوته إلى السماحة واللين والتعاطف والتعاون بين المواطنين على البر والتقوى وحسن المعاملة. وأذكر فى مقدمة هؤلاء المهتدين الدكتور ( نظمى لوقا ) الأستاذ بالجامعة الذى بحث طويلا وفكر وتدبر واستنار قلبه واقتنع عقله فدخل فى دين الله عن عقيدة راسخة ويقين ، وألف كثيراً من الكتب التى تدافع عن الإسلام مثل كتاب : ( محمد الرسالة والرسول ) وكتاب : ( وامحمداه ) وكتاب : ( زوجات الرسول ) ويقول فى كتابه الأول : من شك فى صدق محمد صلى الله عليه وسلم فمعناه أنه قد شك فى مظهر الصدق فى العالم ، ويجب عليه أن يطعن فى كل من يراه أو يسمع به يزعم التحلى بفضيلة الصدق . ويقول فى كتابه الثانى : حفاظاً على معنى الشرف وصيانة لحق المروءة أوجبت على نفسى ذلك الإنصاف لشخص أبى القاسم ( محمد ) وللرسالة التى حملها إلى الناس فى أمانة وصدق وتحرج لايبارى ، أوجبت ذلك على نفسى منذ عرفت قدره وأدركت خطره ، والواجب فرع عند ذوى الأمانة من الإدراك ، فشهادة الحق من أوجب الأمانات والساكت عن الحق شيطان ، فمن يجهل الحق لا لوم عليه ، والملام كل الملام على من يدرك الحق كرائعة النهار ثم يتخاذل عن إعلانه ، ويترك رايته تنتكس بين السفلة والطغاة ، وتوطأ بأقدام الجهلة والظلمة واللئام ، وساء ذلك صنعاً ، إنه كان إثماً وبيلا .

وضنا بنفسى عن هذا الخزى الموبق تصديت لتلك الغاية ، ولاجناح على من اتخذ إلى ربه سبيلا .

والعجب كل العجب ونحن فى العقد الأخير من القرن العشرين مازلنا نرى فى بعض الدول من يعطلون عقولهم ويحجبونها عن التفكير ويضعونها فى مستنقع التقليد للآباء والأجداد ويعتنقون الأوهام والأباطيل فيعبدون غير الله تعالى ، وفى مقدمة هؤلاء الجاحدين سكان الدول الشيوعية الذين يتعبدون بما تصدره إليهم موسكو من أباطيل واعتبار الأديان أفيون الشعوب ولا يؤمنون إلا بالمادة وما يلمسونه بأيديهم وتقع عليه أبصارهم فحاربوا كل الأديان وأغلقوا المساجد والكنائس واضطهدوا أتباعها وعذبوهم وأجبروهم على اعتناق الشيوعية ، وفى الوقت نفسه يؤمنون بما لاتراه أعينهم ولاتلمسه أيديهم من سريان التيار الكهربى فى الأسلاك والسالب والموجب ويؤمنون بالدورة الدموية وهم لايشعرون بها وبما أودعه الله تعالى فى أجسامهم من أسرار ، وبعد أكثر من سبعين سنة من الثورة الشيوعية بدأوا والحمد لله يعودون إلى الحق ويعدلون عن كثير من مبادئهم الفاسدة ويسمحون بفتح المساجد والكنائس ومزاولة الناس لطقوس عباداتهم .

وكذا ما زلنا نرى فى شبه القارة الهندية معبودات ما أنزل الله بها من سلطان كعبادة البقرة وتقديسها وتلطيخ وجوههم وأجسادهم بروثها وبولها وتحريم ذبحها وأكلها ، وتقوم المذابح والحروب الطاحنة بينهم وبين مواطنيهم من المسلمين إذا ذبحوا بقرة ، ولقد سألت طالباً هندياً حينما كنت فى الدوحة فى السبعينيات وقلت له : كيف يعبد بعض الهنود البقرة فى القرن العشرين وفيهم فلاسفة ومثقفون ثقافات عالية ؟ فأجابنى بأن هذه العقائد تجرى فى دمائهم وبعيدة عن دائرة العقول ، ويحرم عليهم التفكير فى الحكمة منها وغير خاضعة للبحث . وكذا أجابنى بعض الأصدقاء من المثقفين المسيحيين فى مصر حين قلت لهم : كيف تعتقدون أن الله ثالث ثلاثة وأن الأب والابن والروح القدس إله واحد؟ فقالوا : هذه أمور ومعتقدات نؤمن بها ومحرم علينا التفكير فيها وخارجة عن دائرة البحث والفهم ، ثم سألونى : كيف تُقبلون الحجر الأسود فى طوافكم حول الكعبة ؟ فقلت لهم : إن عمر بن الخطاب حينما كان يطوف بالكعبة وقف أمام الحجر الأسود وقال : والله إنى لأعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك . وقلت لهم : إن الله

تعالى أمرنا أن نقبل حجراً وأمرنا أن نرجم حجراً آخر وذلك رمز لمنتهى الخضوع له سبحانه وقمة الطاعة لأوامره ونواهيه ، ونحن فى الاحتفالات العامة قبل أن يرفع العلم على ساريته نرى رئيس الدولة يقبل ذلك العلم وكذا يؤدى له الجنود التحية وله نشيد خاص ، وطلاب المعاهد والكليات يحيون العلم فى كل صباح وما هو إلا قطعة من القماش ولكنهم يفعلون ذلك رمزاً لتمجيد الوطن والاستعداد للتضحية والفداء فى سبيل رفعته والدفاع عنه .

## الإسلام يأمـــر بالحوار

يقول الله تعالى آمراً نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام وأمته :

**( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين )** [١] ،

ويقول :

**( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنـــا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون )**[٢]

وحين أمر الله نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون الذى ادعى الألوهية وقال لقومه :

**( أنا ربكم الأعلى )** قال لهما **( اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى )** [٣] .

فالحوار والمناقشة والمراجعة وترديد الكلام هو الطريق السوى الذى شرعه الله لأنبيائه ورسله وأتباعهم وأمرهم به ، كى يصلوا إلى الإقناع ويهتدوا إلى الإيمان لمن يدعونه إلى الهدى والإيمان ، ويعتنقوه عن عقيدة راسخة واختيار لاتشوبه رائحة الجبر والإكراه ، وللدعاة إلى الله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة بأنبيائه ورسله حتى يحققوا النجاح فى دعوتهم ويصلوا إلى أهدافهم بأيسر السبل،ومع ماكان عليه خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين من قمة فى الأخلاق والسلوك وقوة الإقناع والحجة أمره سبحانه بدعوة الناس إلى الإيمان بالحكمة واللين والرفق والحلم وسعة الصدر وحسن الخطاب وحذره من الغلظة والجفوة والقسوة حتى لاينفر الناس من دعوته فيقول له :

---

(١) سورة النحـــل آية ١٢٥ .

(٢) سورة العنـكبوت آية ٤٦ .

(٣) سورة طه الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

(ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر )[١] .

وذكرنا فيما سبق شيئا من حلمه وشفقته وعفوه وسماحته وهو سبحانه قد علم الشقى من الناس والسعيد وكتب ذلك عنده وقال : ( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ) ، وقال : ( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ) ، ( إنما أنت نذير ) ، (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ) ، ( لست عليهم بمسيطر )، ( إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ) .

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

## الحوار فى القرآن الكريم

ذكر الله سبحانه لنا كثيراً من قصص الأنبياء وما جرى بينهم وبين قومهم من حوار ومناظرة ، ليكون ذلك الأسلوب منهاجاً متبعاً للدعاة إلى ربهم وهداية للبشرية إلى الحق ، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام يجادل قومه ويحاورهم باللين والحجة والبرهان ، ويذهب معهم فى هذا السبيل إلى أبعد الحدود فيظهر لهم موافقته فى عرض دعوته لأبيه وقومه حين حاورهم وناقشهم فى معبوداتهم الباطلة وانتقل معهم من مرحلة إلى مرحلة فقال سبحانه :

**( وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين * وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون * إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين )** (١) .

فبدأ عليه السلام الحوار أولا مع أبيه فوعظه ونهاه بلطف ولين عن عبادة الأصنام التى يصنعها بيده ويبيعها لقومه فلم يستجب له فقال له إبراهيم : ( إنى أراك وقومك فى ضلال مبين ) أى تائهين لا يهتدون أين يسلكون بل هم فى حيرة وجهل ، وأمركم فى الضلالة والجهالة ظاهر وواضح لكل ذى عقل سليم ، ثم بعد ذلك أظهر لقومه أنه موافق لهم فى عبادة الكواكب ، وحينما جن الليل وتغشاه بظلامه رأى نجماً فقال لهم ( هذا ربى ) فلما غاب النجم قال : ( لا أحب الآفلين ) فإن المعبود بحق لا ينبغى أن يغيب ويختفى عن عباده بل يجب أن يبقى معهم دائماً ولا يزول ، وبعد ذلك رأى القمر طالعاً قال : ( هذا ربى ) فلما أفل واختفى قال : ( لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم

---

(١) سورة الأنعام الآيات ٧٤ — ٧٩ .

الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ) أى جرما من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة ( فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون ) فسلك فى دعوته لهم إلى توحيد المعبود بالحوار معهم خطوة خطوة حتى يريهم عملياً أن هذه الكواكب والأصنام لاتصلح أن تكون آلهة معبودة ، وبين لهم فى هذه المناظرة خطأهم وضلالهم فى عبادة غير الله تعالى ، لأن هذا النجم والقمر والشمس كلها أجرام سماوية لاتملك لنفسها ضراً ولانفعا ، وهى مسيرة وخاضعة لأمر خالقها ومدبرها الذى بيده ملكوت كل شىء قال تعالى :

**( إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين )** (١) .

وبعد هذه المحاورة قال لهم : (إنى برىء مما تشركون* إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ) .

ثم يعرض علينا سبحانه حواراً آخر لإبراهيم مع أبيه حين دعاه إلى الإيمان بالله يتبين لنا منه لطف الداعى المسلم وسماحته ولينه وغلظ محاورة الكافر وفظاظته حتى مع أقرب الناس إليه فيقول سبحانه :

**( واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا*إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولايبصر ولا يغنى عنك شيئا*يا أبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سويا*يا أبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا*ياأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا * قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا ) .**

فيهدد ابنه وينذره بالقتل رجماً ومع ذلك يرد ابنه رداً رقيقاً فيقول :

**( سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا )** (٢) .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٤ .

(٢) سورة مريم الآيات ٤١ — ٤٧ .

وهكذا يعلمنا الله سبحانه كيفية الحوار وآدابه ولنا فى أنبياء الله ورسله الكرام القدوة الطيبة والأسوة الحسنة :

**( لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا )**[١] .

وفى قصة يوسف عليه السلام يعلمنا الله سبحانه السبيل الواجب اتباعه لنجاح الحوار والدعوة والصبر على الأذى وعدم ترك الدعوة ولو فى أصعب المواقف وأقساها فى مصادرة الحرية وفى جحيم السجون فيقول سبحانه بعد ظهور براءة يوسف :

**( ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين * ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ) .**

ولكنه لم يعبر لهما هذه الرؤيا بعد سماعها منهما مباشرة بل أراد أولا أن يثقا فيه ويتقبلا كلامه ويعتقدا فيه الصدق فقال لهما : **( لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما )** وهذا هو ما يشاهدانه كل يوم ويتيقنان منه ثم يقول لهما :

**( ذلكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ) .**

فبين لهما سبب معرفته بتعبير الرؤيا وأرجع ذلك إلى تعليم الله إياه وتركه الاقتداء بقوم كفار واتباعه الدين آبائه وأن ذلك كله من فضل الله عليه وعلى الناس ، وبعد ذلك يدخل فى الموضوع بعد هذه المقدمة المهيئة لهما إلى الإيمان فيقول :

**( ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون )**[٢] .

وبهذا الأسلوب الحكيم ورقيق الحديث والحوار العقلى فى هدوء وإقناع نجح يوسف عليه السلام فى دعوته . وهذا هو السبيل الذى يوصل إلى الإيمان وتحقيق الهدف بدون إثارة أو تشنج أو انفعال .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ . (٢) سورة يوسف الآيات ٣٥ ــ ٤٠ .

## الحوار مع شيعة لبنان

فى صيف سنة ١٩٥٦ م وبعد انتهاء العام الدراسى فى كلية المقاصد الإسلامية بصيدا حيث كنت مبعوثاً للأزهر إليها عزمت على قضاء الصيف ببلدة جُبيع وهى إحدى عواصم الشيعة فى جنوب لبنان وهى قريبة من النبطية وتبعد عن صيدا بحوالى ثلاثين كيلو مترا ، وذهبت إليها مع أولادى قبل عيد الأضحى بثلاثة أسابيع وفى اليوم الأول بها ذهبت بعد العصر إلى مقهى يقع على قمة الجبل يرتاده الناس نهاراً ويغادرونه بعد غروب الشمس مباشرة خشية البرد . وجلست منفرداً على منضدة وبعد قليل جاءنى رجل وألقى السلام فعزمت عليه بالجلوس وتناول القهوة فاستجاب لى وعرفنى بنفسه بأنه رئيس بلدية جُبيع وهو شيعى مثقف وطاف كثيراً من دول أوربا وأميركا وجنوب أفريقيا حيث يوجد عدد كبير من الشيعة فيها ، وطلب منى بعد أن عرف أنى مبعوث الأزهر فى لبنان أن أعاونه فى إبطال بعض عادات الشيعة فى احتفالاتهم بالعشر الأول من شهر المحرم حين يحتفلون بذكرى سيد الشهداء الحسين بن على رضى الله عنهما وما يفعلونه فى هذه الاحتفالات من ضرب الجباه بالسيوف حتى يسيل منها الدم ومن يمت من ذلك اعتبروه شهيداً .ومن ضرب صدورهم بالحجارة.وفعلا بدأنا الدعوة للقضاء على هذه العادات السيئة بالحوار مع كثير من زعماء البلدة وشبابها أثناء زياراتنا لهم فى بيوتهم والجلوس على هذا المقهى وفى المسجد الوحيد الذى بمئذنته مكبر للصوت يسمع جميع أهلها وأقنعناهم بترك مسيرة السيوف وضرب الصدور بالحجارة وحصر الاحتفال على قراءة سيرة الحسين بالمسجد أو بالحسينية حيث يأتى إليهم كل عام أحد علماء النجف يقرأ لهم القصة ودموعهم تجرى على لحاهم ، والحمد لله استجاب السكان لدعوتنا ولكنهم لم يوافقوا على ترك التمثيلية التى تمثل الحرب بين الإمام الحسين وجيش يزيد بن معاوية التى تقام صبيحة اليوم العاشر من ذى الحجة فى ميدان واسع وتنتهى التمثيلية بذبح خروف يمثل قتل سيد الشهداء ، ويتوافد أهالى القرى المجاورة على جبع لمشاهدة هذه التمثيلية وينتفع التجار بها وتروج تجارتهم بين الوافدين إليهم .

واحتار رئيس البلدية فيما يفعل لإبطال هذه التمثيلية ، فقلت له : استدع هؤلاء الممثلين وأعط كل ممثل منهم ماكان يأخذه أجرا واطلب منهم مغادرة البلد ليلة العيد ولايبيتوا بها فوافقوا على ذلك وغادروا البلد . وفى الصباح الباكر توافد أهالى القرى المجاورة من الشيعة لمشاهدة هذه التمثيلية ولكنهم فوجئوا بعدم وجودها وبسماع آيات القرآن الكريم والمواعظ منى ومن أحد شباب البلد المذاعة من المسجد .

واعترافاً بالحقيقة والفضل فإننا لم نستطع إبطال هذه التقاليد إلا بعد أن ذهبت بنفسى وتقابلت مع فضيلة مفتى الشيعة المرحوم الشيخ عبد الحسين شرف الدين فى مقره بمدينة صور وجرى بينى وبينه حوار طويل لموافقته على إلغاء هذه العادات السيئة ولكنه صمم عليها وقال : إن هذا هو أقل واجب فى أعناقنا لإحياء ذكرى سيد الشهداء عليه السلام. وجرت دموعه على لحيته ، وبعد فترة صمت قصيرة قلت لسيادته : إن هذه الاحتفالات تختلط فيها الشباب بالفتيات وهذا ما لا يبيحه الإسلام ، فاقتنع فضيلته برأيى وطلبت منه فتوى بتحريم التمثيلية ، فاستجاب وكتبها بخط يده فأخذتها وأذعتها كثيراً فى مكبر الصوت بالمسجد وأطلعت عليها أهل البلد ، وكان لها أثر كبير فى اقتناعهم .

## زواج المتعة عند الشيعة

دعانى شاب شيعى يعمل مدرساً بإحدى المدارس الثانوية لتناول طعام الغداء فى منزله الذى يقع على ربوة عالية من الجبل تحيط به غابة من الشجر ، وأخذنى بسيارته من الساعة العاشرة صباحاً ، ولما دخلت منزله وجدت بالصالون خمسة من علماء الشيعة من بينهم رئيس المحكمة الشيعية الشرعية ببيروت ووالده ، وحينئذ أدركت السبب فى دعوته لى وسررت كثيراً بوجود هؤلاء العلماء الأفاضل ، وبعد استراحة قصيرة قلت لهم : إن الوقت طويل حتى يأتى الطعام وبدلا من قضائه فى موضوعات لا جدوى فيها وفى أحاديث سياسية فإنى أقترح أن نقضيه فى حوار وبحث لموضوعين أحب الاطلاع على رأى علماء الشيعة فيهما ، الموضوع الأول هو زواج المتعة وكيف تعتبرونه حلالا وتسمونه بالنكاح الصغير ، والموضوع الثانى هو ترككم لأداء صلاة الجمعة وعدم إقامتها وتصلون بدلا منها الظهر والعصر معاً فى وقت الظهر وأنتم مقيمون . . وكنت دائماً أصلى معهم فى المسجد صلاة الظهر والعصر فى وقت الظهر وحينما أعود إلى منزلى أعيد صلاة العصر بعد دخول وقتها وكذا الشأن فى صلاتى المغرب والعشاء حرصاً منى على اكتساب ثقتهم وعدم نفورهم من عالم أزهرى سني .

وبدأنا الحوار بزواج المتعة وسقت لهم الأدلة على تحريم النبى صلى الله عليه وسلم لنكاح المتعة فى غزوة خيبر وقول عمر بن الخطاب : لا أوتى بناكح متعة إلا غيبته تحت التراب ، وهو زواج لاشهود فيه ولا يثبت به نسب ولا إرث ولا طلاق وإنما يزول ويبطل بانتهاء المدة التى اتفق عليها الرجل والمرأة فى مقابل أجر معلوم ، بأن يقول لها : أتمتع بك أسبوعاً أو شهراً أو أقل أو أكثر وأدفع لك كذا من المال ، وهو نظام لايزال معمولا به عند الشيعة حيث يوجدون ، وهو أشبه بما كان عندنا فى عهد الاستعمار الإنجليزى من نظام البغايا فى كل مدينة مصرية وفى أحياء خاصة برخصة رسمية من الدولة وتحت رعايتها وحراسة رجال الشرطة حيث يتبول كل راغب فى مرحاض نساء مخصوصات لفعل الفاحشة ، ولكنه والحمد لله قام مديرو الأقاليم بإلغاء هذا النظام القذر قبل جلاء الاستعمار عن مصر .

وقلت لهم : إن الصحابة جميعهم أجمعوا على تحريمه ولم يخالفهم أحد إلا ابن عباس ثم ثبت رجوعه إلى قولهم ورجع عن قوله بحله حين قيل له : لقد سار بفتواك الركبان وقال الشعراء فيها شعراً ، فقال : وماذا قالوا ؟ قالوا :

قد قلت للشيخ لما طال محبسه … يا صاح هل لك فى فتوى ابن عباس
وهل ترى رخصة الأطراف آنسة … تكون مثواك حتى مصدر الناس

قال : والله ما بهذا أفتيت ولكنها كالميتة للمضطر . ورجع عن فتواه .

وبعد هذا لم يقتنع هؤلاء العلماء بما ذكرت من أدلة فقلت لهم : دعونا من هذه الأدلة وأنتم لكم بنات وأنا كفء لبنت أى رجل منكم فهل يوافق أحدكم على تزويجى زواج متعة من ابنته ؟ فسكتوا جميعاً . فقلت لهم : لماذا تسكتون وأنتم تعتقدون حل نكاح المتعة ؟ فقالوا : الواقع وإن كنا نعتقد حله فإنه لايفعله منا إلا الأدنياء ، فقلت لهم : وهل الإسلام أتى للتوسعة على الأدنياء أم للقضاء عليهم ومحاربتهم ؟ فقالوا : إنه جاء للقضاء عليهم ، ووافقونى على تحريم زواج المتعة ولكنى لا أدرى هل هذه الموافقة من باب التقية والهروب من نتيجة الحوار أم أنها حقيقية وعن اقتناع منهم بتحريم هذا النوع من الزواج .

## صـــلاة الجمعـــة

ثم انتقلنا بالحوار فى الموضوع الثانى وهو تركهم لصلاة الجمعة وقلت لهم : لماذا لاتقيمون صلاة الجمعة وهى فرض والقرآن الكريم أمر بها وحرم البيع وكل عمل فى وقتها يشغل الناس عن أدائها . فقال سبحانه :

**( يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون )** [١] .

فقالوا : إن صلاة الجمعة لاتصح عندنا إلا بأربعة شروط : أولها أن يوجد بين المسجدين اللذين تقام فيهما صلاة الجمعة أربعة أميال فأكثر ، فقلت : إن هذا الشرط موجود وقائم فلا يوجد ببلدتكم هذه إلا مسجد واحد وبينه وبين أقرب مسجد فى صيدا ما لايقل عن ثلاثين كيلو مترا ، قالوا : وثانيها أننا إذا أقمنا الجمعة نكون سبباً فى وقوع الذنب من كل من يسمع الأذان لها ولا يستجيب ، فقلت : إذن اتركوا الأذان للصلوات الخمس ، لأن الكثير لايستجيبون للنداء وعلى بعد خطوات لهذا المسجد مقهى كبير مكتظ بالناس يلعبون القمار ويشربون الخمور حتى لاتكونوا سبباً فى وقوع الذنوب على من لايستجيب ، فوافقونى على أن هذا الشرط لا معنى له ، وثالثها : ألا تقل الجماعة فيها عن اثنى عشر رجلا ، فقلت : إنه فى كل صلاة يجتمع فى المسجد أضعاف هذا العدد ، وأخيراً قالوا : إن أهم شرط عندنا لصحة صلاة الجمعة هو الإمام ، فقلت : الإمام منكم موجود فى كل الصلوات المفروضة ، فقالوا : إننا نقصد بالإمام المهدى المنتظر ، فقلت : أين يوجد هذا الإمام المنتظر : قالوا : إنه اختفى فى سرداب بالعراق فى القرن الثالث الهجرى ، فقلت : حينما اختفى المهدى فى السرداب هل أخذ معه القرآن الكريم أو تركه معنا ؟ فقالوا : لم يأخذه بل تركه معنا . فقلت : وهل قوله تعالى :

**( يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله . . )**

---

(١) سورة الجمعة آية ٩ .

الآية هل نسخ أم هو باق ؟ فقالوا : إنه باق ، ثم قلت : ومتى يظهر هذا الإمام المختفى ؟ قالوا : حينما تملأ الأرض فسادا فيملؤها عدلا وصلاحا ، فقلت : إن الفساد ملأ الأرض وانتشر فى أرجائها فماذا يعوقه عن الظهور ؟ فقالوا : إلى أن يشاء الله ، فقلت : كيف يعيش هذه السنين الطويلة فى السرداب حياً بلا طعام ولاشراب ؟ فقالوا : إن الله تعالى حين خلق خلايا الإنسان جعل بعضها لايعيش طويلا والبعض الآخر تعيش قروناً مثل عيسى عليه السلام ، الذى يعيش فى السماء بلا طعام ولاشراب ، فقلت : إن عيسى عليه السلام نبي ورسول ووجوده فى السماء معجزة من معجزاته ولا معجزة لغير نبي فلا يصح قياس حياة المهدى على حياة عيسى عليه السلام وهو ليس بنبي ولا رسول .

ثم قلت : حينما كان المهدى حياً وكان يؤم المسلمين فى صلاة الجمعة هل كان يؤمهم بنفسه فى كل البلاد الإسلامية فى وقت واحد أم كان له نواب يقيمونها نيابة عنه فى هذه البلاد ؟ قالوا : كان له نواب ولاشك ينوبون عنه فى إقامة صلاة الجمعة ، فقلت : هل نوابه هؤلاء كانوا علماء أو جهلاء ؟ قالوا : علماء ، فقلت : إنكم أنتم علماء وليسوا بجهلاء فأنتم إذن نوابه فعليكم إقامة صلاة الجمعة نيابة عنه . فاقتنعوا ببقاء فريضة صلاة الجمعة . فقلت : استدعوا لنا الآن فضيلة إمام المسجد ، ومن توفيق الله تعالى أن يأتى فى هذه اللحظة الإمام ويدخل علينا ، فأعدت عليه ملخصاً لما دار بيننا من حوار ومناقشة فى شأن إقامة صلاة الجمعة وأن هؤلاء العلماء اقتنعوا بإقامتها ، فقال : وأنا أيضاً مقتنع بما اقتنعوا به وسأقوم بإقامتها يوم الجمعة القادم وسأتى كلمة بعد صلاة مغرب الخميس أدعو الناس لصلاتها ، وكانت هذه المناقشة يوم ثلاثاء ، وفعلا وفىّ بوعده وألقى كلمته فى موعدها وأقام صلاة الجمعة وألقى الخطبة لها وقال فيما قال : إن صلاة الجمعة فريضة على كل مسلم مكلف ومن لم يصلها فهو كافر . وبعد سفره فى نهاية الصيف أتى رئيس البلدية بشاب يحفظ القرآن الكريم واتفق معه على أن يكون إماماً للمصلين للجمعة فى مقابل مبلغ معين والحمد لله .

## الحوار مع قس فرنسى فى الطلاق

عدت من بيروت إلى بيتى فى صيدا بعد المغرب فى سيارة أجرة وركب معنا قس فرنسى يعمل مديراً ومشرفاً على المدارس الفرنسية فى لبنان ، قال لى : أنت مصرى؟ قلت : نعم،ومبعوث الأزهر فى لبنان . قال : إن مصر متعصبة ضد المسيحية وتضطهد المسيحيين فيها ، فقلت : هذا غير صحيح وافتراء ، فلا تفرقة عندنا بين مسلم ومسيحى ، فقال : هذه جريدة الأهرام تنشر اليوم حكماً من المحكمة بطلاق مسيحى لزوجته المسيحية ولا طلاق فى المسيحية ، فقلت له : إن قوانين الأحوال الشخصية لها محاكم شرعية للمسلمين وأخرى ملية لغير المسلمين ، والذى يضع القوانين للمحاكم الملية هم القسس بموافقة الكنيسة ويقدمونها لوزارة العدل لتنفيذها فى أحوالهم الشخصية فإن كان فيها خطأ وخروج عن أحوالهم فهو من الذين وضعوها لا من الحكومة ولا القضاء .

ثم قلت له: هل سيادتك على استعداد لمناقشة قضية الطلاق مناقشة عقلية بحتة لا بصفتك قساً مسيحياً ولا بصفتى عالماً أزهرياً ؟ فقال : نعم مستعد ، فقلت له : متى يباح عندكم الطلاق ؟ فقال : لايباح الطلاق عندنا،لأن ماجمعته يد الله لاتفرقه يد الإنسان ، فقلت : هل إذا أثبت الزوج الخيانة على زوجته فماذا يكون الوضع ؟ فقال : يحكم بينهما بالفراق الجسدى ، فقلت : هل لهذا الفراق الجسدى مدة محددة ؟ فقال : حتى يصطلحا ، فقلت : هل إذا طال هذا الفراق الجسدى سنوات ثم أتت له بولد أثناء ذلك فلمن ينسب هذا الولد ومن يلزم بالنفقة عليه ؟ فقال : ينسب للزوج ويلزم بالنفقة عليه ، فقلت : هل هذا معقول ؟ هى تأتى له بأولاد من الحرام وينسبون إلى الزوج وهم ليسوا منه ويلزم بالنفقة عليهم ؟ فضحك الركاب ضحكة عالية ، أخجلت سيادته ، وقال بانفعال : هذا أفضل مما عندكم . فقلت : وضح كلامك، فقال : الزوجة تطهى الطعام وقد لا تأكل منه لأن زوجها حين ذاقه وجده مالحاً أو عادماً فيحلف عليها بالطلاق ويطردها من بيته ، فقلت : كيف علمت هذا ؟ فقال :

من كثير مما يقع بين المسلمين من طلاق، فقلت له : إننى أجيبك بنص القرآن وليس بمذهب فقهى من الأئمة الفقهاء ، فالله تعالى يقول :

**( واللائى تخافون نشوزهن « عصيانهن » فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً * وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيرا )** [1] ،

فالله تعالى يأمر الأزواج إذا حدث من زوجاتهم نشوز وعصيان ألا يهجموا على الطلاق مباشرة بل يلزمهم أن يستعملوا قبله أربع مراحل لأنه تعالى ما شرع شيئاً أبغض إليه من الطلاق ، وهذه المراحل هى : أولا أن ينصحها ويعظها فإذا زال الخلاف بينهما فبها ونعمت، وإلا فعليه أن ينتقل إلى المرحلة الثانية ، وهى الهجر فى المضاجع ، فالمرأة معروفة بضعفها ومعروفة أيضاً بسلاح الجاذبية القوى ، ولا بد أن يكون الهجر فى المضجع وفى فراش واحد حتى يعلمها أن سلاحها لاتأثير له عليه وأنها قطعة من الأثاث وفاقدة لجاذبيتها ، والمرأة العاقلة التى تقدر هذا الصد منه يؤلمها ذلك أشد الألم فتناقش زوجها فى سبب هذا الصدود وتعاتبه وقد ينتهى العتاب بعودة المياه إلى مجاريها، فإذا صممت الزوجة على موقفها وكانت أعصابها قوية ولم تؤثر فيها هذه العقوبة فهى إذن عصبية وفاقدة الإحساس وجاهلة بحقوق الزوج فمثل هذه المرأة قد يصلح لها الضرب وتقبله، ولكن بشرط أن يكون هذا الضرب غير مبرح بحيث لايكسر عظماً ولا يوجع لحماً ، حتى قال بعض الفقهاء : يضربها بالسواك وهو قطعة من الخشب لايتجاوز طولها شبراً واحداً ، أو يضربها بطرف كمه . وهذا النوع من الضرب أشبه بالهزار أو التهديد فإن أجدت هذه المرحلة الثالثة فيلزم الزوج أن يكف عن استعمال الضرب، ويقبل منها عودتها إلى طاعته وعدولها عن عصيانه ، لأن الله تعالى يقبل توبة العاصى ويغفر له ذنبه إذا عاد إلى الله وترك المعصية .

---

(١) سورة النســـاء آية ٣٤ ، ٣٥ .

ولكن إذا فشلت هذه المراحل الثلاث فى علاج ذلك النشوز فعلى الزوجين أن يخرجا هذا النزاع من بينهما إلى اختيار كل منهما حكماً من أهله يقص عليه موقفه ثم يختلى هذان الحكمان ويتناقشان فى حجة كل من الزوجين ويصدران حكمهما على المخطىء منهما فإن قبل الزوجان هذا الحكم فبها ونعمت، ولكن إذا رفضاه معاً أو رفضه أحدهما وقبله الآخر فحينئذ نعلم أن الخلاف مستحكم بين الزوجين وأنه لا سبيل إلى إزالته ولا علاج بينهما سوى الفرقة واستعمال سلاح الطلاق حيث لا علاج سواه . ثم إذا وقع الطلاق فيباح للزوج أن يرجعها إلى عصمته قبل انتهاء عدتها بدون عقد ولامهر ولا شهود ولا رضا وموافقة منها ، ثم إذا وقع منها نشوز آخر فعلى الزوج ألا يهجم على الطلاق بل عليه أن يستعمل المراحل الأربع التى ذكرت فى الآية، ثم إذا فشلت فله أن يطلقها طلقة رجعية ثانية وله أن يرجعها إلى عصمته بدون رضاها ثم إذا نشزت ثالثاً تباح له طلقة ثالثة بائنة بينونة كبرى لا يحل له مراجعتها إلا بعد أن تتزوج زوجاً آخر زواجاً طبيعياً لا بشرط التحليل. ثم إذا طلقها الزوج الثانى باختياره وانقضت عدتها منه جاز للزوج الأول مراجعتها وإعادتها إلى عصمته بعقد جديد وبرضاها ويملك ثلاث طلقات جديدة .

وبعد هذا التوضيح قال القس : إنكم معاشر المسلمين لو استعملتم هذا النظام لم يقع بينكم طلاق . وأبدى إعجابه واقتناعه بنظام الطلاق فى الإسلام . والحمد لله .

## ممن يقع الاعتــداء ؟

قال الله تعــالى :

**( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا )** (١)

قال الإمام القرطبي فى تفسيره : المعنى : لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بنته أرباب الديانات من أماكن العبادات ، ولكنه دفع سبحانه فأوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة ، فالجهاد أمر متقدم فى الأمم وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات فكأنه قال : أذن فى القتال . فليقاتل المؤمنون . ولولا القتال والجهاد لانتصر الباطل على الحق فى كل أمة ، ولولاه لما بقى للدين من يذب عنه ويدافع ، فلولا هذا الدفع لهدم فى زمن موسى الكنائس ، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفى زمن محمد عليه السلام المساجد . والصوامع للرهبان والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين ، وقدمت مساجد أهل الكتاب ومصلياتهم فى الذكر على مساجد المسلمين لأنها أقدم بناء وسابقة للمساجد فى الزمن .

والضمير فى قوله : ( يذكر فيها ) عائد إلى المساجد ، لأنها أقرب مذكور فى الآية وقال الضحاك : الجميع ( يذكر فيها اسم الله كثيرا ) فالضمير عائد على الصوامع والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين .

وعلى هذا التفسير فالله تعالى ينهى عن الاعتداء على أماكن العبادة الأديان السماوية الثلاثة ، فالمسلم يحرم عليه حرق الكنائس والاعتداء عليها بأى نوع من أنواع الاعتداء ، وكذا اليهودى والنصرانى يحرم عليهما الاعتداء على المساجد وإحراقها فإذا كانت الأديان الثلاثة مجمعة على تحريم الاعتداء على أماكن العبادة فلماذا نشاهد بعض المسلمين يحرق كنيسة ، وبعض المسيحيين يحرق مسجدا ؟

---

(١) سورة الحج آية ٤٠ .

إن من يقدم على هذا الفعل الشنيع المحرم فى جميع الأديان السماوية مخالف لتعاليم دينه ومتعد على بيوت العبادة ومثير لفتنة يحرمها الله تعالى ويحرمها القانون .

فلو أن مسلماً كان ملتزماً بأحكام دينه لما فكر مطلقاً فى إحراق كنيسة ، وكذا لو أن نصرانياً كان ملتزماً بأحكام دينه لما فكر فى إحراق مسجد .

والطامة الكبرى أن هؤلاء المعتدين الجهلاء بأحكام دينهم حين يقترفون هذا الاثم ويقومون بهذه الجريمة يعتقدون أنهم يخدمون دينهم ويدافعون عنه .

وهنا أنقل إلى القارىء الكريم بعض الفقرات فى هذا المعنى من كتاب : ( أخلاقنا الاجتماعية ) للدكتور مصطفى السباعى عليه رحمة الله :

١ — إن كل الأديان تأمر بالرفق وتحث على الحب وتنهى عن الخصام وتمقت القسوة والأذى وهى بذلك عامل من أكبر العوامل فى نشر السلام بين الناس ، وقيام الثقة والتعاون بينهم فى شئون معاشهم ومعاملاتهم . وأدياننا الكبرى فى الشرق العربى والإسلامى تلتقى عند هذا الغرض فى كثير من آدابها وشرائعها ، وحسبك من المسيحية قول المسيح عليه السلام : ( أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم ) أما الإسلام فلا تكاد تحصى آيات القرآن فى الحب والصفح والرحمة وعمل الخير للناس ، ولاتكاد تحصى الأحاديث التى تحث على ذلك وترغب فيه ، وحسبك من الإسلام قول الله تبارك وتعالى فى وصف عباده المؤمنين :

**( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما )** [١] ،

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله ) [٢] ، وهكذا تتعاون دياناتنا على نشر الوئام بين الناس وترغبهم فى العيش معاً إخوة متحابين ، ولا يحول اختلاف دياناتهم دون اطمئنانهم

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٣ .

(٢) رواه البزار .

جميعاً على حرياتهم وأموالهم وأعراضهم وكفاءاتهم ، بل إن الإسلام ليقرر أن اختلاف الناس فى أديانهم وعقائدهم أمر طبيعى من ضروريات الحياة.

**(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم )** [(١)] .

٢ — كان من أبرز أخلاقنا الاجتماعية تعاوننا على بأساء الحياة وضرائها مع اختلاف أدياننا وعقائدنا ، حتى اشتركنا فى كثير من الحروب جنباً إلى جنب ، نقاوم الغزاة ونطرد المعتدين ، ولست أرى فى التاريخ أروع من موقف شيخ الإسلام ابن تيمية حين جاء إلى أمير التتار يطلب إليه إطلاق سراح الأسرى ، فأجابه الأمير التتارى إلى إطلاق سراح أسرى المسلمين وحدهم دون المسيحيين واليهود فأبى شيخ الإسلام وقال : لابد من إطلاق سراح هؤلاء أيضاً ، فإنهم أهل ذمتنا ، لهم ذمة الله ورسوله . فأطلق الأمير سراحهم جميعاً .

٣ — ويوم ينقلب الدين مفهوماً ضيقاً يتميز بالحقد والعداء ويبعث على النزاع والشحناء وينتهى إلى الفتن وسفك الدماء يومئذ يكون الدين قد تحول إلى طائفية ذميمة تنذر بشر العواقب وأوخم النتائج .

٤ — إن إساءة المسيحى إلى مواطنيه المسلمين أمر لاتدفعه إليه مسيحيته وإنما تدفعه إليه طائفيته الجاهلة بسماحة المسيحية وأخلاقها ، وان إحراق المسلم لبعض الكنائس أمر لايدفعه إليه إسلامه ، وإنما يدفعه إليه جهله بالإسلام ومبادئه فى معاملة غير المسلمين . وهكذا تنبعث الطائفية من الجهل ثم تنمو وتترعرع فى تربة الحقد والاستغلال .

وإذا كان فى تاريخنا بعض المآسى الدينية فليس مردها إلا إلى الطائفية المنبعثة من الجهل وإلى الطائفية المستثمرة من العدو ، والدول الكبرى هى التى

---

(١) سورة هـود آية ١١٩ .

تؤجج نيرانها، وكل دولة منها تؤيد طائفة وتمدها بالسلاح ، حتى دمرت الطوائف بيوتها بأيديها وشوهت جهال أرضها بجهل عامتها واستغلال زعمائها [١] .

أما إنه ما من شك فى أن العلة هى الجهل بالدين ، وأن الذى يستفيد منه أعداء الأمة من المستعمرين والطغاة الظالمين .

٥ — إن الفرق بين الدين والطائفية هو الفرق بين العلم والجهل والحق والباطل والخير والشر والإيمان والعصيان .

٦ — الدين إخاء وتعارف ولقاء ، والطائفية عداء وتقاطع وجفاء .

الدين حب ورحمة وسلام ، والطائفية كره وقسوة وخصام .

الدين وفاء وحسن خلق وطيب نفس وسماحة يد ، والطائفية غدر وسوء خلق وخبث نفس وقذارة يد .

الدين شرعة الله ورسالته ، والطائفية شرعة الشياطين ووسوستهم .

الدين هداية الرسل إلى الله وطريق الناس إلى الجنة ، والطائفية قيادة الأشرار إلى الدمار والطريق المستقيم إلى النار .

٧ — أيها الناس : ارجعوا إلى الدين ، اطرحوا طائفيتكم ، أيدوا دعوة الدين وحاربوا دعاة الطائفية ، كونوا متدينين واحذروا أن تكونوا طائفيين .

٨ — إن التاريخ لايزال حتى اليوم يقف موقف الإجلال والإكبار للذين أظهروا سماحة الإسلام فى حكمهم وفتوحاتهم ، كما يصب لعنته وسخطه واحتقاره على الذين قاموا بأبشع صور التعصب فى انتصاراتهم وسيطرتهم. حين دخل عمر بيت المقدس وأعطى أهلها أماناً على معابدهم وكنائسهم وعقائدهم وأموالهم كان مثالا لصاحب الدين فى سماحته ونفسه الإنسانية الكبرى ، وحين دخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية وأعطى بطريركها سلطاناً داخلياً على رعيته

---

(١) ويشهد بصدق هذا ما نراه فى هذه السنين فى لبنان .

لايتدخل فى عقائدهم ولا فى عباداتهم كان مثالا لرجل الدين الذى يتسع صدره للناس جميعاً ، والذى يرى من حق الناس أن يعبدوا الله أحراراً كما يشاءون .

وحين استولى الأسبان المتعصبون على أسبانيا المسلمة شردوا أهلها واضطهدوا عقائدها وامتهنوا معابدها وأعملوا فيهم سوط السجن والتعذيب والإحراق والقتل وأنشأوا محاكم التفتيش ،لم يكونوا يمثلون سماحة الدين الذى يعتنقونه ، وإنما كانوا يمثلون حقد المتدين الجاهل الذى لايرى مكاناً على ظهر الأرض لغير المتدينين بدينه ، أ ـــ ه .

## الحـــروب الصليبية

لانريد بالكلام عن الحروب الصليبية سرداً لتاريخها وحوادثها فإن لذلك كتباً تاريخية خاصة ، وإنما نريد عرض بعض صور منها على الشباب ، ليعلموا قدرما يكنه الغرب لنا من حقد دفين وتعصب أسود وطمع فى خيرات بلادنا وإضعاف للإسلام وإبادة للمسلمين ، وإنها لم تكن فى حقيقتها حروباً دينية بل إنها سياسية واستعمارية ارتدوا لها ثياب الدين والدين منهم براء :

**( يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون )** [1] .

وسميت هذه الحروب الأوروبية بالصليبية لأن كل من اشترك فيها كان يخيط على ردائه الخارجى صليباً من القماش .

وقد وقعت هذه الحروب فى ثمانى حملات وبدأت من سنة ١٠٩٦ م وانتهت بالفشل سنة ١٢٥٠ م وكانت بتحريض من البابوات فى روما وبقيادة ملوك ورؤساء الدول الأوربية وخاصة فرنسا،وانتهت الحملة الأولى منها باستيلاء الصليبيين على بيت المقدس ، ولم تنقض سنوات طويلة حتى تغلبت المصالح التجارية على الغرض الصليبى ، فأصبح لاهمّ للحجاج الذين يفدون تباعاً من غرب أوروبا إلى الأراضى المقدسة سوى مباشرة الأنشطة التجارية والعودة إلى بلادهم محملين بالثروة والمتاجر .

وكانت الحملة الصليبية الثانية سنة ١١٤٧ — ١١٤٩م بقيادة (كونراد) الثالث ملك ألمانيا ولويس السابع ملك فرنسا ، وفى هذا الوقت وحّد المسلمون صفوفهم بقيادة صلاح الدين الأيوبى ، ودخل معهم فى حرب جدية وأنزل بهم هزيمة منكرة فى موقعة ( حطين ) وسقط بيت المقدس فى أيدى المسلمين ، وكان لذلك هزة كبرى اهتز لها غرب أوروبا مما عجل بحملة صليبية جديدة ، ولبى نداء البابوية لهذه الحملة

(١) سورة التـــوبة آية ٣٢ .

الثالثة عدد كبير من ملوك أوروبا وأمرائها فاشترك فيها (فردريك بربروسا) امبراطور ألمانيا و (فيليب) الثانى ملك فرنسا و (ريتشارد) الأول ملك إنجلترا ، وانتهى الأمر بغرق فردريك وتشتت رجاله وعودة فيليب الثانى ملك فرنسا إلى بلاده وبقى ريتشارد وحده فى البلاد المقدسة ، واضطر أخيراً إلى عقد صلح مع صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٩٢ م على أن تظل فلسطين بما فيها بيت المقدس فى أيدى المسلمين الذين تعهدوا بالسماح للمسيحيين بالحج إليه والزيارة. ولم يستطع البابا السكوت على بقاء بيت المقدس فى أيدى المسلمين ، لذا فكر البابا (أنوسنت الثالث) فى إيفاد حملة صليبية رابعة إلى الشرق على أن تبدأ هذه الحملة أولا على مصر التى أثبتت الحوادث أنها مركز قوة المسلمين فى الشرق الأدنى ومنبع قوتهم وأكبر مورد يستمدون منه الرجال والمال فى جهادهم ضد الصليبيين ، ولكن ما فعله رجال الحملة الرابعة أثبت أن الحروب الصليبية ما هى إلا غزوات همجية بربرية وأنها تعتبر نقطة تحول مهمة فى تاريخ الحروب الصليبية ، إذ فترت بعدها الحماسة الصليبية واتضح جلياً أن المصالح الاقتصادية والدنيوية تحتل المكانة الأولى فى سياسة المعاصرين .

ومن أغرب الحملات الصليبية التى شهدها القرن الثالث عشر بعد ذلك حملة الأطفال ، إذ اجتمع عدد ضخم قدره المعاصرون بثلاثين ألفاً من أطفال فرنسا وألمانيا وغيرهما سنة ١٢١٢ م وطلبوا الذهاب إلى الأرض المقدسة لحرب المسلمين ، وقد اعتقد كثير من رجال الدين المعاصرين أن هؤلاء الأطفال الأبرياء السذج سيأتون من الأعمال والمعجزات ما عجز عنه الكبار ، ولكن الأمر انتهى بأن أخذ تجار البندقية هذه الآلاف من الأطفال ليبيعوهم فى أسواق الرقيق فى تونس والشرق .

ولكن هذا الفشل زاد من غضب البابوية ورغبتها فى القيام بعمل حاسم ضد المسلمين فأخذ البابا يحث الامبراطور فردريك الثانى على القيام بحملة صليبية سادسة .

فخرج واستولى على بيت المقدس سنة ١٢٤٤ م ولكن فى أكتوبر من السنة نفسها تمكنت جيوش الصالح أيوب تحت قيادة مملوكه بيبرس من إنزال هزيمة بالصليبيين

عند مدينة غزة ،وكانت هذه الهزيمة ساحقة وشاملة حتى سماها بعض المؤرخين حطين الثانية إذ أنها أدت إلى تمزيق الجيش الصليبي شر ممزق ووقوع أفراده بين قتلى وأسرى .

ورغم انتهاء الحروب الصليبية بالفشل الذريع لم يمنع ذلك واحداً من ملوك أوربا المتحمسين وهو ( لويس ) التاسع ملك فرنسا من القيام بحملة صليبية جديدة ضد مصر سنة ١٢٤٩ م وانتهت بالفشل وهزم الفرنسيون ووقع لويس التاسع نفسه فى الأسر وسجن فى دار فخر الدين بن لقمان بالمنصورة عاصمة محافظة الدقهلية ، ولم يطلق سراحه إلا بعد دفع فدية ضخمة شاركه حكام أوروبا فى دفع هذه الفدية نظير إطلاق سراحه ،ثم عاد لويس التاسع يقود حملات صليبية أخرى ولكنه مات بالطاعون فى تونس سنة ١٢٧١ واعتبره الفرنسيون قديساً باسم ( سان لوى ) .

ويحدثنا التاريخ أن ريتشارد ملك إنجلترا الملقب بقلب الأسد أصابه مرض شديد وهو بإحدى مدن الشام فأرسل إليه خصمه صلاح الدين الأيوبي بطبيبه الخاص ليقوم بعلاجه من هذه الأمراض .

## الحروب الصليبية ما زالت مستمرة

لم تنته الحروب الصليبية بفشل الحملات على الشرق الإسلامى وأسر ( لويس ) التاسع ملك فرنسا الذى كان قائد الحملة الصليبية الثامنة ، بل استمرت هذه الحروب قائمة ومشتعلة وما أظنها تنتهى إلا إذا شاء الله القضاء عليها نهائياً ، فقد تقاسمت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا احتلال الدول العربية والإسلامية واستعمرتها قسمة الغنائم وورثت تركة الرجل المريض ، فاحتلت بريطانيا مصر وفلسطين وشبه القارة الهندية وبعض البلاد الأفريقية واحتلت فرنسا سوريا ولبنان وبعض دول شمال أفريقيا وأواسط أفريقيا واحتلت إيطاليا ليبيا وأطلقت كل منها أبواقها وشجعت مبشريها ، يصولون ويجولون ويعملون على إضعاف الروح الشعبية ومقاومة المواطنين للاستعمار ويحاولون إطفاء شعلة الإسلام فى قلوب السكان ، ويبذرون بذور الفتن والمنازعات وإثارة الضغائن والعداوة بين الشعب الواحد ، ويجسدون عوامل التفرقة والأحقاد بين صفوفه ولا يكتفى المستعمرون باحتلال جنودهم أراضى هذه الدول وإنما يعملون أيضاً لاحتلال العقول والأفكار ، ويحشونها بالمطاعن الكاذبة ضد عقائدهم وتقاليدهم وحتى يحققوا أهدافهم فى استمرار بقائهم ويطفئوا نور الله فى القلوب أنشأوا المعاهد والكليات الجامعية تبشر بحضارتهم وتخلق عقولا غربية صليبية خاوية من الإيمان فى أسماء عربية وإسلامية يصطفونها من أغنياء الشعب ويربونها على الإيمان بثقافاتهم والإعجاب بحضارتهم ويفتحون أمامهم جامعاتهم ويمنحونهم أرقى الشهادات ثم يعهدون إليهم بإدارة شئون الشعب ، ويجعلونهم واجهة يسيطرون بها على مقادير الشعوب وينفذون بواسطتهم سياستهم المدمرة فى استعبادهم والتحكم فى رقابهم ، ويختارون حكاماً وكتاباً وأدباء ينادون بمحاسنهم وعدالتهم والتسليم لأنظمتهم وتقليدهم فى مباذلهم ومجونهم وعبثهم باسم الحضارة والمدنية .

وألغوا من المحاكم قوانين الشريعة واستبدلوها بقوانين شيطانية وحصروا أحكام الإسلام فيما سموه بالأحوال الشخصية . ووضعوا فى كل دولة ابتليت باستعمارهم ( دنلوب ) وزيراً للمعارف ليحارب التربية الإسلامية ويجعلها مادة إضافية لاتساوى

التربية الفنية أو الرياضية فلا اختبار فيها ولا رسوب حتى لا يعتنى بها الطلاب ولا ينتفعون بما فيها من آداب وتشريع ، وما زالت مناهجه قائمة رغم مضى ما يزيد على قرن من الزمان، ورغم كل المؤتمرات التعليمية والاقتراحات واللجان الثقافية إلا قليلا حيث لاتمس أصولها ولا يقترب من أهدافها الاستعمارية. ورغم جلاء الجنود عن الأرض ولكن لم يجلوا ولم ينسحبوا إلا بعد أن اطمأنوا إلى احتلال العقول والأفكار وخلقوا فى كل مكان أجيالا تتمسك بثقافاتهم ومناهجهم وأصبح من المعتقدات بين الناس أن زعماء الاستعمار أمريكا وروسيا لايتفقان ولا يجمعان على أمر إلا إذا كان فيه حرب للإسلام وإضعاف للمسلمين فكل منهما تتنافس وتتسابق فى الاعتراف بدولة إسرائيل حين أنشأوها سنة ١٩٤٨ م فى قلب البلاد الإسلامية لتكون خنجراً مسموماً فى أحشائهم فأمريكا اعترفت بها بعد دقيقتين من إعلانها وبعد ثمانى دقائق أخرى اعترفت بها روسيا . وتمدها أمريكا بكل ما تحتاج إليه من رغيف الخبز إلى الصاروخ واعتبرتها ولاية من ولاياتها واستجابت فى سرعة البرق لصراخ رئيستها جولدا مائير فى حرب العاشر من رمضان، ومدت إليها جسراً من الطيارات الحربية لتضمن البقاء لها . وأمدتها روسيا باليهود المهاجرين منها ليكونوا عوناً لها على حرب العرب والمسلمين . وأكبر مظهر لبقاء الحروب الصليبية واستمرارها هذه الحرب الطاحنة منذ سنوات فى لبنان التى أشعلوها بين المسلمين والمسيحيين اللبنانيين وأمدوا كل طائفة لبنانية بأحدث ما أنتجته مصانعهم من الأسلحة المدمرة وأشدها فتكاً ودماراً لضمان استمرار هذه الحرب ووقف كل محاولة للصلح بين هذه الطوائف واغتيال كل لبنانى معتدل يدعو إلى السلام ، ووقف هذه الحرب التى طمست معالم لبنان الحضارية وهدمت عماراتها بمن فيها من الأبرياء والأطفال والنساء وفى مقدمة هؤلاء العقلاء المعتدلين ، فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى الجمهورية رحمة الله عليه ، ولن تنتهى هذه الحرب إلا إذا كفت هذه الدول عن مدها بالأسلحة والمعونات وإشعال النيران فى كل بقاعها وسكب البنزين على أمنها واستقرارها حتى يعود هذا البلد العربى كما كان سويسرا الشرق .

ومن مظاهر الحروب الصليبية هذه الفتنة بين دولتين إسلاميتين متجاورتين وهما

إيران والعراق وإشعال نيران الحرب بين شمال السودان وجنوبه التى أشعلها الاستعمار الإنجليزى قبل جلائه بمساعدة المبشرين، وفصل الجنوب عن الشمال حتى لايتأثر بعقيدة شماله الإسلامية وأوجدت بذلك حرباً مستعرة فى الدولة الواحدة وأشعلت هذه الفتنة بالوقود لتضمن بقاءها وسعت وتسعى ضد كل مؤتمر يعمل على إطفاء هذه الشعلة بين أبناء الوطن الواحد .

وأكبر شاهد على استمرار هذه الحروب الصليبية اللعينة قيام الدول الغربية بزعامة أمريكا بغرس دولة إسرائيل فى قلب الدول الإسلامية واعتبارها ولاية من الولايات الأمريكية وضمان وجودها والدفاع عنها واستعمال حق الفيتو لكل ما يمسها ويضايقها فى مجلس الأمن والعمل على أن تكون هذه الدولة أقوى ممن حولها من الدول العربية ، ولم تكتف إسرائيل بكل ذلك بل احتلت منطقة واسعة فى جنوب لبنان بحجة إيجاد حزام لها ، ولا ندرى هى منطقة أمن ممن ؟ هل من لبنان وهى مشغولة بحروبها الطائفية ولا تستطيع دفاعاً عن نفسها ؟ أم جيش لبنان الجنوبى الضالع معها ؟ ولكن والحمد لله فإن الزمن ضدها والله من ورائها محيط حيث أثار عليها سبحانه أطفالا عزلا من السلاح إلا الحجارة يرجمونها بها رجم إبليس للقضاء على أطماعها وأحلامها وتحقيق آمال الأبطال الفلسطينيين فى إنشاء دولتهم وتحرير وطنهم المقدس .

وأيضاً فإننا لاننسى تلك الضجة الكبرى التى أثارها أخيراً الملحد ( سلمان رشدى ) الهندى المولد الإنجليزى الإقامة والجنسية بكتابه : ( آيات شيطانية ) الذى هاجم فيه الإسلام ونبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه واتهم زوجاته أمهات المؤمنين المثل الأعلى فى الطهارة والعفة — بالخيانة والانحراف مما دعا الإمام الخمينى رحمه الله بإصدار فتواه بإهدار دمه واعتباره مرتداً عن الإسلام ، وهذا الموقف الإنجليزى أقبح صور التعصب الصليبى ، فالطعن فى الإسلام ومهاجمة رسوله وزوجاته والسب والشتم والخروج عن الإنسانية يعتبر فى نظر الإنجليز حرية رأى لاينبغى لأحد استنكارها والاعتراض عليها . ولكن الطعن فى نبى الله عيسى عليه السلام يتنافى فى عرفهم مع حرية الرأى والقانون لايقره ، ولم تكتف إنجلترا بهذه التفرقة الظالمة والموقف المخزى المتناقض بل اتبعته بسحب سفيرها من طهران وقطعت علاقاتها بإيران احتجاجاً على

هذه الفتوى ، ولم تقف إنجلترا وحدها فى هذا الموقف بل شاركتها فيه دول السوق الأوربية فسحبت سفراءها أيضاً دفاعاً عن حرية الرأى فى زعمهم .

فهل بعد هذا كله يصدق إنسان عاقل منصف أن الحروب الصليبية انتهت أو أن الحضارة والمدنية خففت من الحقد الأسود والتعصب الممقوت ضد المسلمين ؟ إننا ونحن نعيش فى العقد الأخير من القرن العشرين ما زلنا نعيش تحت السحب السوداء والظلام الدامس والظلم الظالم حيث نشاهد الاضطهاد والقتل للأطفال والنساء والتعذيب فى غياهب السجون والطرد من أرض الآباء والأجداد وهدم المنازل فى إسرائيل وفى غيرها فى جنوب الفلبين ويوغوسلافيا وألبانيا وفى بلغاريا التى تجبر المسلمين فيها على اعتناق المسيحية وتغيير أسمائهم وإلا فالطرد لهم هو البديل عن رفض هذه الإجراءات الوحشية .

فى صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩ - ٦ - ١٩٨٩ نشرت تحت عنوان : (أين حقوق الإنسان لمليونى مسلم فى بلغاريا) عن لسان وزير خارجية تركيا يقول : إن حكومة بلغاريا حددت ثلاثة أشهر لإتمام هذه العملية ولكن بعض الأتراك قاوموا ذلك مما دفع الحكومة البلغارية إلى قتل المئات . ويقول وزير الدولة التركى : إن هذه القضية جريمة إنسانية والجريمة هى أنك مسلم . ويقول أحد الأتراك المطلوب تهجيرهم : إنهم طلبوا منى تغيير اسمى إلى فيدان فيليبوف بدلا من فخر الدين وأنه فرض على كل من يتكلم اللغة التركية غرامة من ٢٠ — ٥٠ ليرة بلغارية وأنه إذا شوهد مسلم يؤدى الصلاة فإن الغرامة تتراوح بين ٥٠ — ٦٠ ليرة مع وضعه فى السجن لمدة ١٥ يوماً . ويقول آخر : إنهم قتلوا ابنته وعمرها سنة ونصف وسجنوا ابنه ووضعوه هو فى السجن لأدائه الصلاة .

وفى روسيا الشيوعية أغلقوا المساجد والكنائس وأحرقوا المصاحف وأجبروا المواطنين على ترك دينهم واعتناق الشيوعية التى لا تعترف بدين ولا تعترف بوجود إله والتى ترى الدين أفيوناً للشعوب واستولت على الولايات الإسلامية وحولوا مساجدها إلى متاحف ومخازن . ولكن بعد سبعين سنة من الظلام والظلم من الثورة بدأت المظاهرات فى كثير من الولايات تنادى بالحرية وتهتف بالديمقراطية وتطالب بالقضاء على الفساد والدكتاتورية ، وتحت هذا الضغط الشعبى واتساعه بدأت تتهاوى المطارق على رؤوس الحكام فيها وتمزق شعارات الشيوعية ، والله تعالى يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

## الأناجيل بريئة من التعصب الصليبي

ذكرنا فيما سبق نبذاً من الأناجيل تظهر سماحة المسيحية وبراءتها من التعصب الطائفي وتدعو إلى العفو والمحبة والإخاء والتعاون بين كل الناس وتمقت العنف والعداوة والبغضاء وكل ما ينافي علاقة الإنسان بأخيه الإنسان من الأذى والاعتداء .

ولابأس أن نعيد للقارىء الكريم بعض هذه التعاليم السمحة والمبادىء القويمة .

فى إنجيل متى الإصحاح الخامس ما نصه : قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لاتقتل ومن قتل يكون مستوجباً للحكم ، ومن قال لأخيه : يا أحمق يكون مستوجباً نار جهنم ، وإن كنت قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا واصطلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدم قربانك .

كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى ويسلمك القاضى إلى الشرطى فتلقى فى السجن ، والحق أقول لك : لاتخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير — ثم يقول فى هذا الإصحاح أيضاً : سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن أما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر ، من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين ، من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا تـــرده .

سمعتم أنه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم .أحسنوا إلى مبغضيكم وصلـّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات .

ثم يقول فى الإصحاح السادس : إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم .

وفى الإصحاح السادس من إنجيل لوقا ما نصه : أقول لكم أيها السامعون : أحبوا أعداءكم أحسنوا إلى مبغضيكم باركوا لاعنيكم وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم، من ضربك على خدك فاعرض الآخر أيضاً ، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً ، وكل من سألك فاعطه، ومن أخذ مالك فلا تطالبه ، وكما تريدون أن يفعل الناس بكم فافعلوا أنتم بهم هكذا . أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا ، وأنتم لاترجون شيئاً فيكون أجركم عظيما .

وفى الفصل الثامن عشر من إنجيل برنابا يقول : إذا لطمكم أحد على خد فحولوا له الآخر ليلطمه ، لاتجازوا شراً بشر لأن ذلك ما تفعله شر الحيوانات ، لكن جازوا الشر بالخير وصلوا لله لأجل الذين سيغضبونكم ، النار لاتطفأ بالنار بل بالماء .

وفيما ذكرنا من نصوص الأناجيل ما فيه الكفاية ، ونسأل القارىء الكريم بعد قراءتها بتمعن هل نجد صلة وملاءمة بين ما ورد فى هذه النصوص وبين ما حدث وما يحدث من حروب صليبية قديماً وحديثاً أو نجد تنافراً وتناقضاً واضحاً لا يختلف فيه اثنان ولاينتاطح فيه عنزان ؟ .

إن كل إنسان عاقل يعرف عن يقين أن هذه الحروب القديمة والحديثة لا صلة بينها وبين تعاليم الأناجيل وأن القيام بها باسم المسيحية افتراء وكذب وتجن على المسيحية السمحة وتعاليمها النبيلة السامية وهى بريئة منها براءة الذئب من دم يوسف ، وإنما هى فى الواقع والحقيقة حروب سياسية وتعصب ضد الإسلام ومطامع مادية استعمارية بل هى حروب طائفية يدعو إليها الجهل بتعاليم السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام والتعصب الأعمى والحقد الأسود على الإسلام والمسلمين .

وما أجمل وأصدق ما نقلناه سابقاً عن فضيلة المرحوم الدكتور مصطفى السباعى فى الفرق بين الدين والطائفية ، حيث يقول : إن الفرق بين الدين والطائفية هو الفرق بين العلم والجهل والحق والباطل والخير والشر والإيمان والعصيان ، الدين إخاء وتعارف ولقاء، والطائفية عداء وتقاطع وجفاء ، الدين حب ورحمة وسلام والطائفية كره وقسوة

وخصام ، الدين وفاء وحسن خلق وطيب نفس وسماحة يد ، والطائفية غدر وسوء خلق وخبث نفس وقذارة يد ، الدين شرعة الله ورسالته وللطائفية شرعة الشياطين ووسوستهم ، الدين هداية الرسل إلى الله وطريق الناس إلى الجنة ، والطائفية قيادة الأشرار إلى الدمار ، والطريق المستقيم إلى النار .

أيها الناس ، ارجعوا إلى الدين واطرحوا طائفيتكم ، أيدوا دعاة الدين وحاربوا دعاة الطائفية ، كونوا متدينين واحذروا أن تكونوا طائفيين .

## الفتن الطائفيـــة فى مصر

فى بعض الأحيان تثور فتنة فى جمهورية مصر العربية بين المسلمين وبين مواطنيهم المسيحيين ، يعتدى كل منهم على الآخر ويقومون بحرق الكنائس والمساجد وقد يقتل بعضهم بعضا ويعتقد كل فريق أنه يفعل هذا الاعتداء دفاعاً عن دينه ومعتقداته . والواقع أن هذه الفتن الطائفية لا يقوم بها المتمسكون بدينهم الملتزمون بأحكامه وتعاليمه وإنما يقوم بها الجهلاء بسماحة الأديان والمتعصبون تعصباً أعمى من الذين يعملون للتفرقة والعداوة بين المواطنين وتقويض وحدتهم ، والدين الإسلامى والمسيحى بريئان كل البراءة من هذه الاعتداءات المريرة ، والتى لايستفيد منها إلا الأعداء المستعمرون اللذين يتربصون ببلادنا الخراب والتدمير ، ويريدون أن يحولوا كل دولنا إلى لبنان أخرى ويحرصون على الاستيلاء على خيراتنا ،ويجعلون منا وقوداً لأسلحتهم الفتاكة وحقل تجارب لأسلحتهم ،ويقبضون مئات المليارات التى نستورد بها هذه الأسلحة ويضمنون استمرار مصانع الأسلحة فى الإنتاج ،ويقبضون على رقابنا بقروضهم وفوائدها الباهظة ويتحكمون فى شئوننا الداخلية ويبثون عوامل الفرقة والعداوة ويفرضون أثماناً خيالية لسلعهم التى نستوردها منهم وكذلك ينتفعون بالأرصدة العربية الضخمة فى مصارفهم وازدهار اقتصادهم على حساب أزماتنا الاقتصادية ودوام حاجتنا إلى إنتاجاتهم الصناعية والزراعية ويعملون على إعاقة مشروعاتنا التى تغنينا عنهم .

هذا وقد ذكرنا فيما سبق بعض نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، ومن أصحاحات الأناجيل وأحكام كل منها فى وجوب الترابط والألفة والمحبة والعفو والتسامح والتعاون على البر والتقوى والحفاظ على الوحدة الوطنية والتعايش والسلام بين أبناء الوطن الواحد والتكاتف فى مواجهة الأخطار الخارجية والقضاء على المؤامرات والفتن الوافدة علينا من الخارج ،والتحذير من كل نزاع وخلافات لامعنى لها ولالزوم ،ووجوب التآخى بين الجميع ، والحفاظ على إنسانية الإنسان وكرامته واحترام عقيدته وحسبنا أن نتعايش فى سلام ومودة وحسن معاملة وتحت ظلال عموم قوله تعالى :

**( ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون )[١]**

وقوله تعالى :

**( لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين )[٢]** ،

وقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام :

**( وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدىّ من التوراة ومبشّرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد )[٣]** ،

وقوله صلوات الله وسلامه عليه : ( الأنبياء إخوة علات وأبوهم واحد أمهاتهم شتى وأنا أولى بعيسى بن مريم فليس بينى وبينه نبى ) ، وقوله أيضاً : ( إنكم ستفتحون مصر فاستوصوا بقبطها خيرًا فإن لكم فيهم ذمة وصهرا ) ، وكذلك ورد عن لسان عيسى عليه السلام كما جاء فى إنجيل برنابا الفصل الثالث والأربعين ما نصه : أجاب يسوع حين سأله بعض الكهنة : إن الآيات التى يفعلها الله على يدى تظهر أنى أتكلم بما يريد الله ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون، لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا ( محمد ) الذى خلق قبلى سيأتى بعدى وسيأتى بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية .

---

(١) سورة المائدة آية ٨٢ .
(٢) سورة الممتحنة آية ٨ .
(٣) سورة الصف آية ٦ .

## الجماعـــات الإســـلامية

قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م ظهرت فى المجتمع المصرى جماعة الإخوان المسلمين بقيادة الشهيد المرحوم حسن البنا تدعو إلى العودة إلى الإسلام والالتزام بأحكامه والتمسك بتشريعاته بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار والجدال بالتى هى أحسن ، وأقبل عليها الشعب شيبا وشبانا وانتشرت فى البلاد انتشاراً سريعاً انتشار النور فى الظلام وأنشئت لها فروع فى كل قرية ومدينة وبلغ من قوتها أن الاستعمار الانجليزى تدخّل تدخلا سافراً وعنيفاً لإجبار المرشد العام للإخوان على التنازل عن الترشيح عن محافظة الإسماعيلية فى انتخابات مجلس النواب واشترك معه فى هذا الضغط العنيف زعماء الأحزاب التى كانت قائمة وقتئذ والقصر الملكى خشية نجاحه ونجاح دعوته وتأثيره القوى على أعضاء المجلس ، واتحدوا على محاربة هذه الجماعات والقضاء عليها وأسفرت مؤامراتهم على إغلاق جميع شعب الإخوان المسلمين ولم يكتفوا بذلك ، وإنما تآمروا على اغتيال المرشد العام بعد خروجه ليلا من دار جمعية الشبان المسلمين ولكن الله سبحانه لم يمهل هؤلاء الطغاة المتآمرين فانتقم منهم انتقاماً شديداً وسريعاً فاغتيل رئيس مجلس الوزراء حينئذ ثم طرد الملك فاروق من البلاد شر طردة ومات مسموماً فى أحد الكباريهات الفرنسية غير مأسوف عليه واستولت الدولة على قصوره وأملاكه هو وأسرته ثم رحل الاستعمار بجنوده مهزوماً وخرج من الكنانة مخذولا محسوراً بعد قيام ثورة يولية سنة ١٩٥٢ م التى حلت جميع الأحزاب وأبقت مؤقتاً على جمعية الإخوان المسلمين وتعاونت معها ثم تغير الموقف بعد حادث المنشية بالاسكندرية بين الثورة والإخوان حين أطلق أحد المنتسبين إليها الرصاص محاولا قتل السيد الرئيس وهو واقف يخطب على المنصة ، والعجب أنه لم يتزحزح عن موقفه ولم يحاول ترك المنصة تفادياً من الرصاص أو ينبطح تحت المنصة بل وقف صامداً ينادى الجمهور بالثبات والبقاء فى أماكنهم وهذا الموقف غير الطبيعى أوحى للبعض بأن هذا الحادث لم يكن مؤامرة من الإخوان بل كان مؤامرة عليهم أعقبه القبض على الكثيرين منهم وتقديم بعضهم للمحاكمة التى قضت بإعدامهم واعتقلت الثورة بعض زعمائهم ونفتهم إلى

الواحات وزجت بالبعض الآخر فى غياهب السجون حيث التعذيب بجميع أنواعه التى أفضت ببعضهم إلى الموت ، وهرب منهم الكثير إلى البلاد العربية وعملوا بها وحصلوا على الجنسية منها ، وتحمل الباقون منهم على قيد الحياة أنواعاً من الاضطهاد وصبروا على المشاق والمضايقات سنين طويلة،وأخيراً استطاع البعض منهم النجاح فى انتخابات مجلس الشعب الحالى رغم كل العقبات،ومنهم ابن الشهيد المرحوم حسن البنا وتقدموا باقتراحات إصلاحية واستجوابات فى شأن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية المحبوسة فى الأدراج منذ سنوات ولكن كلها انتهت بالفشل بسبب تأجيلها إلى آخر الدورة ثم فض الدورة فجأة قبل الموعد المحدد للإجابة عنها أو قيام خلافات عنيفة أثناء المناقشة واعتداءات تنتهى بتأييد الأغلبية من أعضاء المجلس لموقف الحكومة وشكر المسئول الذى يقوم بالرد عليها ثم الانتقال إلى جدول الأعمال . وعسى الله أن يهديهم جميعاً لما فيه صلاح الوطن والمواطنين .

وبعد هزيمة سنة ١٩٦٧ م قامت جماعة إسلامية أخرى وأعلنت تكفير المجتمع المصرى ودعت إلى الهجرة منه واغتالت عالماً فاضلا تقياً صالحاً وهو فضيلة المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف وقتئذ بعد أن خطفوه من داره بحدائق حلوان وعذبوه . وانتهى هذا الصراع بالقبض على زعمائهم ومحاكمتهم وإعدام البعض وسجن البعض الآخر .

وأخيراً ظهرت الجماعة الإسلامية التى تدعو إلى الالتزام بأحكام الشريعة ولكنهم لم يسلكوا فى دعوتهم ما أمر الله به نبيه محمداً صلوات الله وسلامه عليه حيث قال له :

**( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن )** (١) ،

وقال له أيضاً :

**( ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك )** (٢) ،

وليس على ظهر الأرض منذ أن خلقها الله وحتى ينتهى أجلها مثل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا أبلغ منه ولا أشد جاذبية للناس ومع ذلك يأمره ربه بالحوار والقول

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

اللين والجدال بالتي هي أحسن . وليس هذا الأمر قاصراً عليه بل هو أيضاً أمر لجميع أمته إلى يوم القيامة . ولكن بعض هؤلاء الشباب سلكوا فى دعوتهم أسلوب العنف والاعتداء ورأوا فى أنفسهم أنهم قادرون على تغيير المنكر بأيديهم مع أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقل فى حديثه : ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ) ويسكت على هذه الجملة ويكتفى بها وإنما أتبعها بقوله : ( فإن لم يستطع فبلسانه ) ولم يسكت أيضاً بل قال : ( فإن لم يستطع فبقلبه ) وأجمع العلماء على أن الذى يستطيع تغيير المنكر بيده هو ولى الأمر الذى يملك السلطة والتنفيذ .

والدرجة الثانية من التغيير هى الوعظ والنصح والإرشاد وهذه الدرجة تكون للعلماء المتخصصين والدارسين لأحكام الإسلام والعارفين بها الذين أفنوا شبابهم وحياتهم فى دراستها ، أما غيرهم من عامة الشعب فهم غير مكلفين بالتغيير باللسان ولايقبل الناس منهم الخوض فيها كما لا يقبل منهم التدخل فى شئون الطب ولا الهندسة ولا فى أية مهنة تحتاج إلى دراسة طويلة ومؤهلات خاصة فواجبهم ينحصر فى الدعوة بالحسنى والإنكار بالقلب ، كما اتفق العلماء على أن تغيير المنكر إذا ترتبت عليه فتنة ومنكر أكبر فالإسلام يوجب تركه ، فقد ورد فى الحديث : ( إذا لم تستطع أن تزيل المنكر فزل عنه ) والله تعالى يقول :

**( وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين )** [١] .

وأساليب القسوة والعنف لاتحقق أهداف الدعوة ولاتزيل منكراً وإنما قد تدعو إلى تنفير الناس وابتعادهم عن الهداية وحربهم لها وعنادهم ومناهضتهم وإعلان العصيان لمقاومة الدعـــاة .

(١) سورة الأنعام آية ٦٨ .

## رجـــال الأمـــن

نعم الله على عباده كثيرة لاتعد ولاتحصى : ( وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) وإذا استعرضنا ما نستطيع استعراضه من هذه النعم لانجد فيها أعظم من نعمة الأمن ، فالمال قد يكون مجلبة للشرور ومطية للمعاصى والإدمان على الخمور والمخدرات بجميع أنواعها والتعالى والتعاظم على الناس ، وإهمال الطاعة لله ومصداق ذلك قصة قارون التى قصها الله علينا فى قوله تعالى :

**( إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لاتفرح إن الله لايحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندى . . ) .**

الآيات إلى أن يقول :

**( فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين )** (١) ،

وكذا الزوجة والولد هما من مظاهر نعم الله على عباده ولكن قد يكونان سبباً من أسباب الهلاك والعداوة ، قال تعالى :

**( يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم )** (٢) .

حتى الملك والسلطان قد يكون سبباً للمتاعب والأمراض والقتل والاغتيال . . وهكذا . . وقمة النعم التى لاينكرها أحد هى نعمة الأمن ، فلا سعادة ولا طمأنينة ولا استقرار بدونه ، فإذا فقد الأمن فقدت السعادة بل فقدت الحياة ، والله تعالى يكرم ضيوفه وزوار بيته الحرام حيث يقدم لهم أفضل ما عنده من نعم الحياة فيقول :

---

(١) سورة القصص آية ٧٦ ــ ٨١ .
(٢) سورة التغابن آية ١٤ .

**( ومن دخله كان آمنا )**[١] ويمتن سبحانه على أهل مكة فيقول :

**( أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم )** [٢] ،

ويقول :

**( فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)** [٣] ،

ويقول :

**( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )** [٤] ،

ورسولنا صلوات الله وسلامه عليه يقول ( من بات آمناً فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها ) فجمع صلوات الله عليه وسلامه رؤوس النعم التى يسعى كل إنسان لتحقيقها فى حياته والتمتع بها وذكر نعمة الأمن على قمتها — والأمن له رجاله المختصون به والقائمون على توفيره لعامة الشعب ولولاه لما تمتع إنسان بحياته ولا طاب النوم لنائم ولا اضطربت الأمور وانتشر الفساد وسطا للصوص على الآمنين فسلبوهم أموالهم وحياتهم ولأكل القوى الضعيف . ولما أتى إلى بلادنا سائح من أقاصى الأرض وباءت السياحة بالبوار وخسرت مصر ملايين الملايين من العملة الصعبة ولما خاطر مستثمر بأمواله ليستثمرها فى إنشاء المصانع والشركات وبناء العمارات التى تساعد فى تخفيف أزمة الإسكان الخانقة وغلاء شقق التمليك ، فكل هذه المشروعات فى أشد الحاجة إلى الأمن والاستقرار فرأس المال — كما يقال — جبان — واجبنا مساعدة رجال الأمن بأقصى مانستطيع من جهد لتسهيل مهمتهم وتأدية واجباتهم . ولكن رغم هذا التقدير والشكر العميق لسهرهم وتضحياتهم فى سبيل القضاء على الجريمة وفى سبيل الاستقرار وتوفير الطمأنينة للمواطنين فإن الشعب لايقبل منهم التجاوز عن واجباتهم وإيقاع أى ظلم على برىء ولا يقبل منهم إلغاء اختصاص النيابة والقضاء فعهدنا أن القاتل المتعمد تطارده الشرطة شهورا وسنين حتى تقبض عليه

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٧ .

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٧ .

(٣) سورة قريش آية ٣ — ٤ .

(٤) سورة الأنعام آية ٨٣ .

حياً وتقدمه إلى النيابة للتحقيق ثم تقدمه النيابة إلى المحكمة إذا ثبتت عليه الجريمة ، والمتهم — كما يقولون — برىء حتى تثبت إدانته ، فالقتل والضرب فى المقاتل وفى المليان وفى سويداء القلب غير مقبول دون أن تسبقه محاولة للقبض على المشتبه فيهم ، فنحن لانعيش فى الغابة بل نعيش فى بلد متحضر له قوانينه السماوية والإنسانية ولاتقبله أيضاً العدالة ، وكذا إعلان الحصار ومنع التجول على أهل حى من الأحياء مثل حى عين شمس لايقبله الشعب ولايستريح إليه ، ولايعيد هيبة إلى قلوب الجماهير ، وإنما الذى يعيد هذه الهيبة والتقدير هو المعاملة بالرفق واللين وإشعار الناس بالأمن والعدل ، كى يتحقق عملياً ذلك الشعار الذى تكتبه مقار الشرطة على أبوابها : (الشرطة فى خدمة الشعب) وكذا لايقبل الشعب إلقاء القبض على أى إنسان وزجّه فى سجن الأقسام بلاتحقيق ولامحاكمة حيث يلاقى فيه أهوال التعذيب ، ثم بعد أيام يفرج عنه القسم يكون بعدها قد فقد عمله وجاع أولاده إذا تبين أنه لا صلة له بأية جماعة متهمة ، وطبيعة كل إنسان وغريزته تخشى الشرطة وتخاف من رجالها ولو كان أطيب الناس فيحاول الهروب منهم ويكون مآله الرمى بالرصاص وقتله بلا ذنب ، ولا يقبل الشعب أن يكون قانون الطوارئ حجة لسفك الدماء والقبض على الأبرياء فقانون السماء والعدالة الإنسانية أولى منه بالرعاية والتطبيق .

ولكن يقبل الشعب إعلان الحصار والحرب على الأحياء المشهورة بالفساد والإفساد كحى الباطنية حصن المخدرات وتجارها ومدمنيها ، وعلى ملاهى الأهرام مأوى اللصوص وقطاع الطرق والمهربين والسكارى والعابثين بالفضائل والمنتهكين للأعراض .

وقانون الطوارىء هذا يذكّرنا بما قاله شاعر النيل المرحوم حافظ إبراهيم يصف ما يلاقيه الشعب من ظلم الاستعمار فى قصيدته التى مطلعها :

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما وعدت وما أعقبت إلا التندما

إلى أن يقول :

لقد كان فينا الظلم فوضى فنظمت حواشيه حتى صار ظلماً منظما .

## تجاوزات الجماعـــات الإسلامية

نحن مع الحق والعدالة أينما كانا، لانتجاوزهما ولا ننحاز إلى فريق ضد فريق آخر فنحن واجبنا الالتزام بالحق ضد الباطل وبالعدالة ضد الظلم عملا بقوله تعالى :

**( يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين )** (١) .

وقوله :

**( ولاتكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه )** (٢) ،

فنشهد شهادة صدق أن الدولة لاتمنع أى مواطن من إقامة شعائر دينه وتيسر له كل السبل للمحافظة عليها وتحترم كل مستقيم ملتزم بالسلوك القويم ودستورها ينص على أن يكون التشريع الإسلامى هو المصدر الرئيسى لكل القوانين ،وكل ما يخالفه من القوانين الوضعية يكون باطلا غير مقبول ،فمصر دولة إسلامية وكعبة العلوم الدينية والعربيةومقر الأزهر الشريف :

والقاهرة هى التى تصدت لكل الحملات الصليبية والصهيونية على الإسلام منذ قديم الزمان ، ويفد إليها طلاب العالم العربى والإسلامى من كل فج ليغترفوا من علومها وحضارتها الإسلامية ولا زالت هى الحصن الأول للإسلام بجيشها وأزهرها ،وكما ذكرت فيما سبق أن الشعب لايقبل من الشرطة التجاوز عن واجباتها ، كذلك لايقبل الشعب من الجماعات الإسلامية أو من غيرهم التجاوز عن واجبهم فى الدعوة باللين والحكمة فلا ينبغى الخروج عن الخط الذى رسمه الله ورسوله فنحاول إنكار المنكر بأيدينا وبقرن الغزال والعنف والاعتداء ونجعل من أنفسنا حاكماً بأمره ونسطو على اختصاص المسئولين فى حفظ الأمن ومقاومة الفساد استدلالا باجتهادات بعض العلماء القدامى المخالفين لما نص عليه القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه

---

(١) سورة النســـاء آية ١٣٥ .

(٢) سورة البقـــرة آية ٢٨٣ .

سلم وجمهور الأئمة الفقهاء، ولانسمع لعلماء الإسلام فى بيان أحكام الشريعة ونأخذ احكامنا من أفراد غير متخصصين، ونعتبر أقوالهم قرآناً جديداً فهذه الأمة لايصلح حالها إلا بما صلح به أولها .

ونحن نثق فى شبابنا المسلم ونعرف أن أكثرهم على خلق طيب، وسلوك مستقيم وأنهم ولا شك خير من شباب الملاهى والإدمان واغتصاب الفتيات والسطو على الآمنين وسلب أموالهم ، فهم — كما نراهم — محافظون على أداء الصلوات الخمس فى أوقاتها ويحافظون على السنة النبوية بإعفاء اللحية، والتجار منهم صادقون أمناء لايغشون ولا يستغلون الشعب ويكتفون بالربح القليل الحلال، ولايتعرضون للنساء، ولكن أخيراً دخلت عليهم بعض الفئات ممن لا أخلاق لهم، والمشبوهين والجهلة وأطلقوا لحاهم ولبسوا الثياب البيضاء فتجاوزوا حدودهم وحدثت منهم اعتداءات لايقرها الدين فشوهوا موقفهم وعرضوهم لأذى السلطة وغضب الشعب .

وهؤلاء الجماعات الملتزمة بسلوك الإسلام قابلون للنصح والإرشاد والتزام حدودهم إذا استعملت معهم الرأفة والحكمة فإن التطرف ضدهم لايولد إلا التطرف وكلما قضت الشرطة على جماعة منهم قامت أخرى ليس فى القاهرة وحدها وإنما فى جميع محافظات الجمهورية ، والصحوة الإسلامية يستحيل القضاء عليها فهى موجودة لا فى مصر وحدها بل فى أكثر الدول العربية والإسلامية بل وفى أوروبا وأمريكا ، فلا ينبغى فى مصر خاصة الوقوف ضدها ومحاربتها وإنما واجبنا أن نشجعها ونعاملها بالحسنى ونتعاون معها فى محاربة الفساد والمفسدين ومقابلة الحجة بالحجة. والإقناع لايكون بالمدفع والقتل بالرصاص وهذا هو الأسلوب الحكيم الناجح الذى يقوم به فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف الحالى والدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية حيث يعقدان الندوات فى جميع محافظات الجمهورية مع الشباب ، فى كلياتهم ونقاباتهم وأنديتهم الرياضية وغيرها بلا ملل منهما ولا انقطاع وعسى الله أن يهدى شبابنا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم ويستمعون القول فيتبعون أحســـنه .

## فاسألوا أهــل الذكر

## بيــان علماء الأزهــر

قال الله تعالى :

**( فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون )[١] ،**

قال الإمام القرطبي فى تفسيره : قال ابن زيد : أراد بالذكر : القرآن أى فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن .

وقال جابر الجعفى : لما نزلت هذه الآية قال على رضى الله عنه : نحن أهل الذكر ثم قال : لم يختلف العلماء فى أن العامة عليها تقليد علمائهم وأنهم المراد بقوله عز وجل : ( فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ) ومن لا علم له ولابصر بمعنى ما يدين به لابد له من تقليد عالمه ، وكذلك لم يختلف العلماء فى أن العامة لايجوز لها الفتيا لجهلها بالمعانى التى منها يستنبط التحليل والتحريم .

ولاشك أن أهل الذكر فى زماننا هم العلماء المتخصصون فى علوم الشريعة والدارسون لأحكامها فكما لايسأل المريض مهندساً لعلاجه من المرض فكذلك لايسأل المسلم أحداً من غير العلماء فى حكم الدين ، وكل فئة متخصصة فى فن من الفنون هم أهل الذكر فى ذلك الفن فالعلم يؤخذ من أهله العارفين .

وحينما اشتدت الفتنة بين رجال الشرطة والجماعات الإسلامية تطلع الناس إلى علماء الأزهر الشريف ليعرفوا حكم الشريعة فى هذه الاختلافات فاجتمع لذلك أكابر العلماء للبحث وإصدار الفتوى اللازمة وفى مقدمتهم فضيلة الداعية الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى وفضيلة العلامة صاحب المؤلفات العديدة الشيخ محمد الغزالى وفضيلة الشيخ محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الأسبق وغيرهم من كبار العلماء

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧ .

وذلك بتاريخ جمادى الأولى سنة ١٤٠٩ هـ ( يناير سنة ١٩٨٩ ) وأصدروا بعد المناقشة البيان التالى ، الذى تلاه فضيلة الشيخ الشعراوى ونصه :

إن الإصلاح الذى ينشده الإسلام للمجتمع فى شئونه كلها يعتمد أول ما يعتمد على الإقناع والتربية والحوار العاقل، ويرفض رفضاً حاسماً اللجوء إلى العنف أو الإكراه واستباحة حقوق الآخرين باسم الدين ، وقد وضعت الشريعة الغراء طرقاً واضحة لتغيير العوج والانحراف ليس منها الاتهام بالكفر أو الطفرة فى بلوغ الهدف وذلك ما عنته الآية الكريمة فى قوله تعالى :

**( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ) .**

ولقد تعددت الأحاديث النبوية الشريفة التى تنهى عن تكفير المسلم ومن ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إذا قال رجل لأخيه : ياكافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه ) وأخرج البخارى أيضاً عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( من دعا رجلا بالكفر أو قال : عدو الله وليس كذلك حار عليه ) أى رجع إليه .

ونحن نعتقد فى إيمان المسئولين بمصر بأنهم لايردون على الله حكماً ولاينكرون للإسلام مبدأ وأنهم يعملون على أن تبلغ الدعوة الإسلامية مداها تحقيقاً وتطبيقاً، ولكن انتظار الوقت المناسب هو الذى يدعو إلى التريث ، ولذلك نوجه إلى جمهور الشباب أن يكونوا وقافا عند حدود الله وأن يبتعد عما يسىء إلى الإسلام ،وأن يدرك أن التغيير الذى طالبت به الشريعة يكون على مراحل رتيبة فصلها الحديث الصحيح الذى يقول : ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ،فإن لم يستطع فبلسانه ،فإن لم يستطع فبقلبه) وقد اتفق العلماء على أن تغيير المنكر باليد واجب على ولى الأمر .وعلى كل إنسان فى حدود ولايته ، وأن تغيير المنكر إذا أدى إلى مفسدة أشد كان التوقف واجباً ، لأن إباحة تغيير المنكر بغير ضوابط يؤدى إلى شيوع الفوضى فى المجتمع ، ويضر بمصلحة الوطن والدين ولأنه من الثابت شرعاً أن تنفيذ الحدود إنما هو من حق الحاكم أو من ينيبه

ولم يحدث فى عهد النبوة ولا فى عهود الصحابة ولا من جاء بعدهم أن نصبت جماعة نفسها لتنفيذ الحدود والأحكام بدون إذن من الحاكم الشرعى ، بل الثابت فى كل العصور أن الذى يقوم بتنفيذ الحدود أو تغيير المنكر باليد هم أولياء الأمور وحدهم .

ونحن على استعداد بوصفنا دعاة إلى الله أن نجاس مع كل من لديه شبهة أو فكر مخالف لكى نوضح له الحق ونرشده إلى الطريق القويم ، وثقتنا كبيرة فى دولتنا أن تزداد حرصاً على إحقاق الحق وإبطال الباطل، وتدعيم الفضائل والقيم الدينية الخلقية، لأن ذلك يؤدى إلى سعادة الفرد والجماعة .

وقبل تلاوة هذا البيان ألقى الشيخ الشعراوى كلمة قال فيها : الحمد لله على نعمة الإيمان وشرف الانتساب له وصلى الله على سيدنا محمد خير من استقبل عن السماء هدى الأرض — وبعد — فما أحب أن ألقى البيان الذى انتهى إليه أساتذتى وإخوانى وتلاميذى أيضاً قبل أن أقدم بين يديه كلمة بسيطة ، لأن البيان عادة يتميز بالإيجاز الدقيق المستوعب ، والذى أحب أن أقوله إن مسألة الإيمان والتكفير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اتخذت الآن مطية للوصول إلى أغراض دنيئة، لا ترتفع إلى السماء أبدا ولكنها ستظل فى حضيض الأرض .

قضية الإيمان أن نؤمن بالإله أى بوجوده وبإله واحد أى لاتعدد له فى أفراده ولا فى ذاته ، فمن قال بالكلمة التى تؤديها فهو مؤمن ندع لله سرائره، ونحكم على علانيته حين يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وحين يتهم أحد بغير ذلك نقول ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( هلا شققت عن قلبه ) فإذا كان الإنسان قد شهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد أخذ كلمة الإيمان، ليس لأحد أن يتهمه بغيرها ، فإذا ما أخذ هذا الحكم استقبل عن الله ما يريده من عبادة ، فإذا أنكر حكماً من أحكام الإسلام المنصوص عليها نصاً فقد كفر أيضاً لأنه لافائدة للإيمان بإله واحد إلا بأن نتلقى عن ذلك الإله الواحد، فمن أنكر شيئاً ثبت عن الله بالنص فهو كافر بوجود الإله ، وقد يكون مؤمناً بإله واحد ولكنه يرد حكماً من أحكام الله عليه فيكون كافراً، لأن ذلك نقض لقضية الإيمان الأولى .

ثم يقول: أرونى فى مصر من ينكر هذه القضية ، من الذى لايقول فيها : لاإله إلا الله محمد رسول الله ومآذنها تعج بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، وكل واحد منا يقولها ، إذن فمن الذى يجرؤ على أن يسمى من يقولها كافرا؟ ومن منا يرد الحكم على الله ؟ .

لم يرد أحد الحكم على الله فيما فيه نص صريح واضح .

قد يختلف العلماء فى الفرعيات لأن مجىء النص محتملا للفهم والاجتهاد إذْن من الله بأن نختلف فيه ، ولكن الخطأ أن يذهب مجتهد إلى رأى فيكفر غيره ، ولذلك كان أدب المجتهدين أن يقولوا : ما وصلت إليه صحيح يحتمل الخطأ وما وصل إليه غيرى خطأ يحتمل الصواب .

أما مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد حدد الرسول مراحلها مستوعباً لحالات النفس الآمرة ولحالات النفس الناهية والنفس المأمورة والنفس المنهية وقدر كل ظروفها : بيده يغير ، فإن لم يستطع فبلسانه يغير ، فإن لم يستطع فبقلبه يغير ، ولكن ليس التغيير بالقلب أن تقول : اللهم إن هذا منكر لايرضيك ، لا ، ولاتعامله ، ذلك هو التغيير وإلا كنا منافقين ، لا نراه أهلا للخير وذلك هو التغيير بالقلب ، تلك هى مراحل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أرونى فى مصر الكنانة التى قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أهلها فى رباط إلى يوم القيامة ) من يقول عن مصر إنها أمة كافرة ؟ إذن فمن المسلمون ومن المؤمنون ؟ مصر التى صدرت علم الإسلام إلى الدنيا كلها ، صدرته حتى إلى البلد الذى نزل فيه الإسلام ؟ هى التى صدرت لعلماء الدنيا كلها علوم الإسلام ، أنقول عنها ذلك ؟ وذلك هو تحقيق العلم فى أزهرها الشريف ، وأما الدفاع عن الإسلام فانظروا إلى التاريخ من الذى رد همجية التتار عن ديار الإسلام ؟ إنها مصر ، ومن رد هجوم الصليبيين على الإسلام وعلى بيت المقدس ؟ إنها مصر ، وستظل مصر دائماً رغم أنف كل حاقد أو حاسد أو مستغل من عدو أو مدفوع ، من خصوم الإسلام هنا أو خارج هنا ، إنها مصر ستظل دائماً دار الإسلام ، ولكن نعلم جيداً أن علم الإسلام

حين انتقل إلى هنا وكانت مصر محكومة حكماً طبيعياً كان الإسلام مطبقاً ، ولكنها بليت بالاستعمار ، وللاستعمار جنود استوردوا لنا كثيراً من التقنينات ليحكمونا بها ، ولكنه حينما زال الاستعمار ظن الناس أن الاستعمار بكل ألوانه زال ، لا ، ليس الاستعمار هو وجود المحتل فى الأرض ، ولكنه قد يبتعد عن الأرض ويترك له أعواناً يذيعون ما يحب وأعواناً يشجعون ما يحب ، وقد يحتلوننا بشىء آخر غير الاحتلال العسكرى ، ولذلك يجب علينا أن نتريث ، وهذا التريث حفاظاً على الشمعة ، الشمعة قد لاتنير مكاناً واسعاً ولكننا نحافظ عليها ، لأنه من الممكن أن نكثرها فتنير أكثر أو نأخذ منها ناراً نشبّها حريقاً على أعدائنا، فليس من السهل أن نترك من ينفخ الشمعة فيطفئها نهائياً ، استبقوا هذه الشمعة لتأخذوا منها النور للمحب والنار للمبغض ، استبقوها واعلموا أننا جميعاً لانستطيع أن تكون كلمتنا من رأسنا إلا إذا كان قوتنا من فأسنا ، لاحظوا جيداً كيف نأكل ؟ من أين نطعم ؟ لاتحاربوا قبل أن تعدوا فإن العداء قبل الإعداد هو عين الفساد والفساد والفساد .

يا قوم لاتستمعوا إلى أحد لأن دينكم واضح ، دينكم فطرى ، واعلموا أن خصوم الإسلام لم يقدروا على الإسلام من ذواتهم فدخلوا عليه من أبنائه ، وجعلوا لكل واحد أملا فى أن يكون أميراً أو حاكماً ، ولذلك أعلنتُ دائماً : أنا لا أريد أن أَحكم بالإسلام ولكنى أريد أن أُحكم بالإسلام . الإسلام أمين على أن أكون محكوماً له بأى واحد من أدنى الأرض ورجله على رقبتى وعلى رأسى ولكنى لاأحب أن أحكم أنا بالإسلام ، لأن طالب الولاية لايولى .

فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب علينا أن نتنبه جيداً إلى ما يراد بنا من كيد وما يراد بنا من شر .

**لسنا علماء السلطان:** واعلموا جيداً أننى كما قال أخى الشيخ الغزالى عن نفسه — لست من علماء السلطان ، فأنا الوحيد فى مصر الذى ردّ قرارات جمهورية ولم يستمع لها فى تاريخها كلها ملكية أوجمهورية ، فلا يستطيع أحد أن يتهمنا أبدًا بأننا علماء السلطة .

## متى تصحو التقنينات ؟

ولكن لنا العتب فى أنه يجب على ولاة أمورنا أن يتعجلوا التقنينات الموضوعة على الرفوف وأن يمنعوا عنها الأيدى التى تهدهدها لتنام ، وأن يمنعوا عنها الأيدى التى تهدهدها حتى تظل نائمة ، وإنى أريد منكم جميعاً أن تكونوا طائفة تقف وقفة الحق والإنصاف بين دعاة الإيمان وبين دعاة : أنا مالى، كما يقرلون . . أن تقفوا وقفة منصفة ،وقفة لله، وأن تكونوا أنتم الطائفة الثالثة التى تصلح ، فإن لم ينصلح أحد فلنكن جميعاً يداً عليه .

## كلمة فضيلة الشيخ الغزالى

إن الإسلام يجب أن يؤخذ من العلماء والفقهاء الذين درسوا الدين وتفقهوا فيه وعرفوا أحكامه ولا يؤخذ من الجهلاء والبلهاء وأصحاب الجهالة العقلية ، لأن هؤلاء يفتون عن غير علم ولا يفرقون بين فرض ونافلة ، إن القاهرة ليست عاصمة مصر وحدها ولكنها عاصمة العالم الإسلامى كله ، ولذا فإن مستقبل الإسلام فيها هو مستقبل العالم الإسلامى فى أرجاء العالم — لقد سألت نفسى أيها الاخوة وأنا أدخل هذا المكان قلت : هل نحن حقاً شهداء الله على الناس كما يقول القرآن الكريم : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فماذا نقول يوم تجيء الأمم وتقول لله سبحانه وتعالى : والله ما استمعنا من المسلمين إلى بلاغ وما عرفنا وجه الإسلام الجميل من أقوالهم ولا من أعمالهم . إننا لم نشرف ديننا بكلمة ولم نحسن العمل بالإسلام كما ينبغى أن يكون العمل .

إننى فى هذا الموقف أريد أن أتحدث عن خاصة من خواص الإسلام ابتعدت عنا وهى خاصة البيان وفى قضاياه الكبرى يعتمد الإسلام على البرهان ، ولنا أن نتدبر قوله تعالى : (أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم) فى قضية الوثنية والشرك بالله تجد القرآن يقول لخصومه ومعارضيه ؛ (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) فى النزاع بين اليهودية والنصرانية والإسلام ، أيها أحق بقيادة العالم ؟ أيها أحق بأن ينسب إلى الله ؟ تجد القرآن يقول : **(قل هاتوا برهانكم) ..(أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله) .**

إننا أصحاب عقيدة تقوم على الثقافة الواسعة والقدرة الهائلة على إقناع الخصوم وليس ديننا يقوم على الغلبة والقهر أو الجبروت أو الشعبية العمياء أو من بعض من ختم الله على سمعه وقلبه أو من يصيح دون أن يعقل ما يقول لأنه صياح وانتهى الأمر .

إننا مطالبون بشرح الحق وبيان حقائقه واسأل كل منتصف : هل المسلمون وهم مليار من خمسة مليارات تسكن العالم ، هل بلغوا رسالتهم ؟ هل أقاموا دعوتهم ؟ هل علم

الناس ما عندهم ؟ هل كانوا تطبيقاً حسناً لدعوتهم ؟ ونموذجاً صالحاً لرسالتهم ؟ هل تأسى الناس فى الشرق والغرب بهم ؟ هل مشوا فى طريقهم واستظلوا بدعوتهم ؟ — إن مجرد الانتماء إلى الإسلام أصبح معيباً عند البعض ، بل قد وجدت ناساً من الحمقى يقدمون الانتساب إلى القومية الأفريقية أكثر مما ينتسبون إلى الإسلام والعالم الإسلامى ، كأن فى أفريقيا ما شرف الإنسانية مثل الإسلام وما أعلى قدرها كما فعل ديننا العظيم . إننا بقينا ألف سنة العالم الأول فى هذه الدنيا . رأيت أن نشر اللغة الانجليزية يشرف عليه فى إنجلترا مجموعة من العلماء منهم واحد من الأسرة المالكة ومجموعة من اللوردات هذه لجنة من أكابر القوم تخدم لغتها حتى صارت لغة العلم ولغة العالم ، أما نحن فإن لغة الوحى وهى الوحيدة فى القارات الخمس الوعاء الذى يضم الوحى الإلهى — هذه اللغة لاتجد من ينشرها . إن الأزهر الذى نجلس فيه معروف أن الذى بناه هو جوهر الصقلى من إيطاليا شرح الله صدره للإسلام وخامرت الدعوة شغاف قلبه فجاء من صقلية وأقام المسجد الذى نجلس فيه الآن . أين المسلمون فى هذه الجزر ؟ أين هم فى بلادهم ؟ إن الأمر يحتاج إلى أن نعرف الأسباب وأن يؤدى كل واحد منا ما عليه .

أنا رجل أشتغل بالدعوة الإسلامية وهى صمام الأمان وقارب النجاة فى البحر المتلاطم الأمواج ، أريد أن أكون صريحاً أكثر ، أنا رجل من خدمة الإسلام يسرنى أن أحمل مع صحابته وأتباعه الرسالة الضخمة التى شرفنا بها ، وما زلت كلما استمعت إلى الأذان فى وقت الفجر أقول : الحمدلله الذى جعل أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم يجيئون إلى هذا البلد ليفتتحوه باسم الله ويجعلوا صيحة التوحيد تملأ أرجاءه وتجعله بلد الإسلام وتجعل القاهرة عاصمة العالم الإسلامى ، وإن بقى الأمر أشبه بسليمان عندما كان يحكم العالم بل يحكم الإنس والجن وهو ميت ، وما عرف الناس أنه مات حتى سقط عن عصاه بعد أن تآكلت .

وليت مؤسسات الدعوة تمكن رجالها فى بيئة جائعة إلى ما بين أيديهم من مادة علمية .

إن الدعوة الإسلامية تحيط بها ملابسات يجب أن تدرس ، هل تستطيع أن تقول

لى : والعالم الصليبي فى أمريكا وأوروبا يملك القنبلة الذرية والعالم الشيوعى فى الصين والاتحاد السوفيتى يملك القنبلة الذرية والعالم الوثنى فى الهند يملك القنبلة الذرية ، بل بنو صهيون لديهم قنبلة ذرية هل أستطيع فى ظل هذا أن أخرج من الجامع الأزهر وأقول للناس : هل من مبارز ؟ وأنا أحمل السيف ، من لم يتبعنى سوف أقطع رقبته ؟ إن الحال فى هذه الحالة أنهم سوف يقطعون رقبتى لأنهم يملكون القوة وأنا لاأملكها .

إننا لانملك إلا الحق فهل شرفنا الحق بأن أحسنا فهمه وأحسنا عرضه وأحسنا فتح القلوب به ووسعنا الآفاق التى تستقبله بقبول حسن ؟

إن أهل الدين هم الذين يجب أن يحملوا الدعوة للناس ، وأكره من يعترض سبيل الدعوة ومن يضع العقبات أمام مجراها،وأعتبر كل من يكمم فماً أو يقيد رجلين أو يمنع الانطلاق لتبليغ الدعوة الإسلامية عن دليل أعتبره عدو الإسلام .

وإننى أضم إلى عداوة الإسلام الصديق الغبى فهو كالعدو الماكر كلاهما خصم لى. إن الإسلام يحتاج إلى وقفة وأحب أن يكون فى أذن وضمير الجميع أننى لست من وعاظ السلطة ولا من علماء الشرطة ، بل بينى وبين السلطة والشرطة مسافات بعيدة ، أنا رجل لا أتحرك إلا من موقع الدفاع عن الإسلام وتبليغ هذه الرسالة التى نقلناها .

وعندما أدين الدعاة الجهلة فإننى أدين كل مرتد عن الإسلام يحاول أن يحمل الإسلام مواقف ليست له . لأن بعض خصومه أو بعض أبنائه فعلوا هذا .

## الحلف الجهنمى الثلاثى ضد المسلمين

**تمهيـــد :**

نقصد بالثالوث الصليبية والصهيونية والشيوعية ، ولكل منها دور شنيع مهلك فى حرب الإسلام ودمار المسلمين. وليس قاصراً على مكان دون مكان بل هو قائم فى كل بقعة يدين سكانها بالإسلام ، وكذلك ليس قاصراً على عصر بل عام وشامل لكل عصر .

وقبل أن نخوض فى هذا البحث نبادر فنقول : إن دعوة الإسلام الذى هو خاتم الأديان السماوية ما هى إلا دعوة إلى السماحة والإخاء والإنسانية بلا تفرقة بين إنسان وآخر بسبب الدين أو الجنس أو اللون بل باعتباره آدمياً مكرماً، الجميع أبوهم آدم وأمهم حواء :

**( يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم )** (١) ،

فانقسام البشر إلى شعوب وقبائل ليس ليعادى بعضهم بعضا ولا ليتقاتلوا ولكن ليتعارفوا وما أصدق الشاعر فى قوله :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

وجعل سبحانه مقياس التفاضل بين الناس التقوى والعمل الصالح والتعاون على البر والخير وليس التعاون على الأذى والشر حتى مع الشواذ والخارجين عن السلوك المستقيم لايلغى الإسلام إنسانيتهم ، قال تعالى :

**( ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان )** (٢) ،

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٢ .

وفى آية أخرى يقول :

**( يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا *اعدلوا هو أقرب للتقوى* واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون )** (١) .

وكذلك المسيحية تدعو إلى ما دعا إليه الإسلام ، فيقول عيسى عليه السلام فى إنجيل متى الإصحاح الخامس : لاتقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، أحبوا أعداءكم ، باركوا لأعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .

إن الناس الذين جعلهم الله خلفاء عنه فى أرضه لوأنهم اتبعوا تعاليم الأديان وتشريعاتها لاختفت الحروب فيما بينهم ولزالت العداوة والأحقاد وانمحت البغضاء من القلوب ولملئت هذه القلوب بالسماحة والإخاء ورويت ببذور المحبة والمودة ، ولعاشوا فى حياتهم متعاونين مترابطين سعداء فى دنياهم وآخرتهم ، ولكنهم تركوا هذه التعاليم السماوية واتبعوا تعاليم الشيطان العدو المضل المبين فعاثوا فى ظلمات بعضها فوق بعض وتقاتلوا وأصبحوا أعداء يدمرون بيوتهم بأيديهم ولايشعرون بسعادة ولا أمن ولااستقرار .

والقارىء للتاريخ الإسلامى والفتوحات الإسلامية يجد أنهم نشروا العدالة والطمأنينة ولم يكرهوا أحداً على الدخول فى دينهم وساووا فى معاملاتهم بين الجميع ، فالناس — كما يأمرهم دينهم — سواسية كأسنان المشط والتفاضل بينهم بالتقوى والعمل الصالح ، قال تعالى

**( لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى )** (٢) ، وقال : **( ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين )** (٣) .

---

(١) سورة المائدة آية ٨ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦ .
(٣) سورة يونس آية ٩٩ .

وما كانت حروبهم لمآرب دنيوية ولا لمآرب مادية وإنما كانت لإزالة العقبات أمام العقول السليمة **( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )**(١) ، وبهذه المعاملة السمحة دخل الناس فى دينهم أفواجا بلا ضغط ولا إجبار وعاشوا فى ظلال الدولة الإسلامية آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم سعداء بحياتهم .

فلماذا يقوم الصليبيون والصهاينة والشيوعيون بالعمل لتدمير المسلمين والقضاء على الإسلام تاركين عباد البقر والأوثان بلا ضغط عليهم ولا إكراه على ترك أديانهم الباطلة ؟ أفهم يعملون هذه الأعمال الوحشية لإبادة المسلمين باسم المسيحية وتعاليم نبيهم عيسى عليه السلام ؟ أم باسم المدنية والحضارة وهى بريئة من هذه الوحشية ؟ ولماذا ينكرون فضل الإسلام على الإنسانية ؟ ولولاه لعاشوا فى ظلمات الجهل والضلال، ولولاه ما عرفوا النور ولا التقدم ولما تتلمذ أبناؤهم فى معاهده وكلياته الجامعية فى الأندلس ،أهكذا يكون جزاء أساتذتهم جزاء سنمار؟ وأين حقوق الإنسان التى ينادون بها والتى سبقهم الإسلام إلى تقريرها بلا تفرقة بين البشرية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً وكأن واضعى هذه الحقوق فى العصر الحديث لايعترفون بإنسانية المسلم ولا يعتبرونه آدمياً له حق الاعتقاد وحق الحياة . عار عليكم ثم عار عليكم أيها الطغاة المستبدون ، نناشدكم الله والإنسانية ألا تلغوا عقولكم ، ولا تحاربوا إنسانيتكم وكونوا كما أمر الله متعاونين مترابطين ، ولا تقاوموا النور الذى أنزله الله على البشرية رحمة منه لها ، ولاتكونوا من الذين قال الله فيهم :

**( يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون )**(٢).

---

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٢) سورة التوبة آية ٣٢ .

## الصـــليبية

بعد هذا التمهيد نبدأ الحديث عن الضلع الأول من هذا المثلث الجهنمى وهو الصليبية التى لها تاريخ طويل أسود فى العداوة والأحقاد على الإسلام من مبدأ ظهوره ونجاح دعوته ودخول الناس فيه أفواجاً وإزالته لأكبر دولة مسيحية فى ذلك الزمان. وهى الروم وزوال سلطانها واستبدادها بالشعوب العربية ولكن الصليبية لم تستسلم للحق والعدالة بل شنّت الحروب على الإسلام والمسلمين بتحريض من بابوات الكنيسة وبقيادة ملوك أوروبا وزعمائها فى موجات متتالية مكثت حوالى ثلاثة قرون وانتهت بفشلها وأسر قائد آخر حملاتها وهو (لويس التاسع) ملك فرنسا وسجنه فى دار ابن لقمان بالمنصورة ولم يفرج عنه إلا بعد دفع فدية ضخمة ساعده فى دفعها حكام أوروبا. ورغم ذلك الفشل قامت حروب صليبية جديدة بقيادة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا فاحتلت كل منها دولا إسلامية فى أفريقيا وآسيا بعد تمهيد الإرساليات التبشيرية لهم، فالاستعمار والتبشير متلازمان يبدأ المبشرون أولا وتغدق عليهم الأموال بلا حساب وله ضريبة خاصة سنوياً فى كل دولة أوروبية ينشئون بها الكنائس فى الدول الإسلامية والملاجىء والمستوصفات والمعاهد ويغرون المسلمين بتسليم أطفالهم إليهم لتعميدهم أولا فى الكنيسة وتسميتهم بأسماء أخرى غير إسلامية ويعالجونهم ويأوون الأيتام وينشئونهم على مناهجهم الاستعمارية وينزعون من قلوبهم العقيدة ويحشونها بتمجيد المسيحية وعقائدهم فى الإله وقد رأيت ذلك النظام فى لبنان قبل نشوب هذه الحرب المستعرة فيها بين أبناء الوطن الواحد ثم يأتى بعد ذلك الاستعمار يحتل بجنوده البلاد ثم لابأس بجلاء هؤلاء الجنود وإعلان استقلال البلاد استقلالا صورياً بعد أن يطمئنوا على احتلالهم العقول والأفكار ويستديموا أسواقهم وبيع منتجاتهم فى هذه الدول وبعد أن يثيروا الفتن ويبثوا الطائفية بين المواطنين ويمدوهم بأحدث أسلحة التدمير وأحياناً يغرقون الدول التى يرغبون فى احتلالها بالأموال والديون وفوائدها الباهظة والمنح والمواد الغذائية ثم إذا عجزت هذه الدول أو تأخرت فى سداد قسط من الأقساط يسارعون بالجنود والأساطيل ويحتلون البلاد بحجة ضمان سداد ديونهم كما فعلت

بريطانيا قبل الثورة واحتلت مصر سنة ١٨٨٢ م وأصبحت مقاليد الحكم فى يدها ولها مندوب سام يقف بالمرصاد لأية حركة وطنية تطالب بالاستقلال والجلاء ويعلق زعماءها على المشانق أو ينفيهم عن الوطن .

وقامت أمريكا أخيراً مقام بريطانيا بعد جلاء جنودها وورثت سياستها فأغرقت البلاد بالأموال والديون وفوائدها ولم تقتصر على مصر بل مدت شباكها ومخالبها إلى كثير من الدول الأفريقية والآسيوية ، وإذا رفعت دولة رأسها وأرادت تحطيم هذه القيود والأغلال قبضت عنها أيديها ، ومنعت المعونات المادية والمواد الغذائية ، فلا تجد لها مخرجاً سوى الخضوع والاستسلام وكفى الله المؤمنين القتال .

ولم يترك الاستعمار الانجليزى السودان ولم يغادره جنوده إلا بعد أن خلق مشكلة مزمنة وهى فصل الجنوب عن الشمال بعد أن أطلق المبشرين فى ربوعه لتنصير أبناء الجنوب ويتخذ زعيم هذه الحركة المدعو ( جارانج ) من الحبشة مقر القيادته ولتلقى المعونة والأسلحة من أعداء الإسلام .

**مساعدة بعض الدول الإسلامية للصليبية :**

ومما يدعو للأسف الشديد أن بعض الدول العربية والإسلامية تقوم بمساعدة أعداء الإسلام والالتزام بسياسته فى اضطهاد المسلمين وإبادتهم فها هو رئيس أكبر دولة إسلامية الحاج الدكتور أحمد سوكارنو حاكم أندونيسيا سابقاً انخدعت به مصر وغيرها فاحتفلت به احتفالا فخماً حين زار مصر ومنحته جامعة الأزهر الشريف درجة الدكتوراة الفخرية وسمحت له السعودية بحج البيت والطواف بالكعبة وهو من أعدى أعداء الإسلام وشجع تشجيعاً سافراً الشيوعية والإرساليات التبشيرية وحين حقق الاستعمار أهدافه من وجوده أحدث انقلاباً ضده وأتى بعميل آخر أكثر منه تشجيعاً للتبشير والقضاء على الإسلام وهو ( سوهارتو ) الذى لم يكتف بمساندة التبشير وإنما دعمه بالبطش والإرهاب والتنكيل بالمسلمين وفتح أبواب أندونيسيا على مصراعيها لزعامة أمريكا التى انضمت إلى إنجلترا وفرنسا لإثارة حرب صليبية جديدة حتى أصبح الإسلام فى أكبر دولة إسلامية فى خطر داهم .

وكانت بعض الدول العربية تعلن تأييدها القوى للقس مكاريوس زعيم قبرص ضد المسلمين الأتراك ولولا مبادرة تركيا باحتلال جنوب الجزيرة لمابقى للإسلام وجود يذكر بها .

وكان ( تيتو ) زعيم يوغسلافيا أحد أركان حركة الدول غير المنحازة الثلاثة عدواً لدوداً للمسلمين فيها أباد نحو مليون شهيد واضطر الآلاف المؤلفة للهجرة منها فراراً بدينهم وحفاظاً على عقيدتهم ومع هذا نؤيده ونتغنى بأمجاده وجهاده ونحن لاننكر تأثير هذه الحركة فى السياسة العالمية وفى هيئة الأمم المتحدة رغم تحكم الصهيونية العالمية فيها وفى قراراتها وتوجيهها التوجيه الذى ترغبه فإذا خرجت عن هذا الخط اليهودى واصدرت قراراً فى صالح الحق والعدالة يمس أهداف إسرائيل فالبركة فى الفيتو الأمريكى لإيقافه وإلغائه، والعالم معذور فى اعتقاده أن أمريكا لاتحكم نفسها وإنما تحكمها إسرائيل وترغمها على اتخاذ سياسة تلائمها ،مهما كانت ضارة بالشعب الأمريكى وضد مصالحه الحيوية فكل مرشح لرئاسة جمهوريتها لايكتب له الفوز بالرياسة إلا بتأييد من الصهيونية التى تملك جميع وسائل الإعلام فيها من صحافة وإذاعة مسموعة أو مرئية وتملك الأموال الطائلة والمصارف الضخمة وتأخذ عليه المواثيق بتأييدها والدفاع عنها حتى يصل إلى منصب الرئاسة وإلا فالفشل نصيبه والهزيمة محققة له .

وهكذا أصبحت أمريكا زعيمة كبرى للصليبية والصهيونية معاً ومنفذة لما يصنعه مجلس الكنائس العالمية من خطط لإبادة المسلمين والقضاء على الإسلام حتى فى مواطنه الأصلية .

**تنظيم النسل :**

ومن مظاهر الحروب الصليبية ضد المسلمين والحد من نموهم وتكاثرهم ما يسمى بتنظيم النسل فى بعض الدول ذات الكثافة الإسلامية فتشجع هذه الدول على محاربة كثرة النسل وتوهمها أن هذه الكثرة هى السبب الوحيد فيما تعانيه من أزمات اقتصادية وتعثر المشروعات ،ولا تكتفى بهذا التأييد وإنما تتكفل متطوعة بميزانية الجهاز المشرف

على التنظيم وتدفع الملايين له رغم أزماتها الاقتصادية بينما تتكفل أيضاً بملايين أخرى لتشجيع النسل وتدفع مكافآت ومعونات لكل طفل جديد غير مسلم وعلى المدى الطويل تتساوى الأقليات فى العدد ولا تعتبر أقلية وحينئذ تثار الفتن الطائفية ويضعف شأن المسلمين وتوجد لبنان أخرى فى كل دولة تتبع هذا النظام وتنفذ بحسن نية هذه المؤامـــرات .

وتنظيم النسل أمر أباحه بعض العلماء وعارضه فريق آخر وكل يستند على أدلة من الحديث ومذاهب الأئمة الفقهاء، وليس هنا موضع لتفصيل هذه الآراء والأرجح ما أفتى به العالم الجليل الشجاع فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية الحالى وهو الإباحة وترك ذلك لاختيار الزوجين وموافقتهما دون تدخل من نظام أو قانون .

ومن المعروف أن كل القوانين العامة يخضع لها كل المواطنين بلا استثناء ولا تمييز ، ولكن ما يثير العجب أنك لو ذهبت إلى أى مكتب للصحة فى جميع محافظات الجمهورية واطلعت على كشوف المترددات عليه رغبة منهن فى تنظيم النسل لاتكاد تجد بينهن سيدة غير مسلمة .

## الصهيونية

كلمة ( صهيون ) لم يعرفها العالم إلا أنها جبل صغير فى بيت المقدس ، واشتهر هذا اللفظ بعد عقد المؤتمر اليهودى فى مدينة ( بال ) فى سويسرا سنة ١٨٩٧ م والذى اجتمع فيه حكماء وفلاسفة صهيون وملوك المال من اليهود ، وهى رمز لأحلامهم التى صاغوها فى بروتوكلاتهم الأربع والعشرين وتمثل عندهم العاصمة للدولة العالمية التى تحكم العالم بأسره بعد القضاء على جميع الأمم وحكامها ،ويكون ملكها من نسل داود .

وعداوة اليهود للإسلام والمسلمين نص عليها القرآن الكريم وأكدها فى قوله :
**( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا )** [١] ،

وبدأت هذه العداوة منذ السنين الأولى لدعوة الإسلام بعد أن تبين لهم أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه ليس من نسل إسحاق وإنما هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ، وكانوا قبل معرفتهم لهذا يستفتحون به ويهددون العرب بقتلهم عند ظهور ذلك النبي الخاتم ولكن ظنهم خاب ( فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ) [٢] وناصبوه العداء وحاولوا قتله وهو جالس بينهم تحت ظل جدار منزل فيهم بإلقاء حجر عليه ، ولكن الله أوحى إليه فقام مسرعاً وتركهم ونجا من مكرهم ، وقدمت له إحدى اليهوديات شاة مسمومة فحذره ذراعها المسموم من أكله ، ثم لم يكتفوا بذلك وإنما ذهبوا إلى مكة وحرضوا أهلها وقبائل غطفان وتحالفوا معهم على حربه والقضاء عليه وعلى دينه فى مهده ، ولكن الله الرحيم بالبشر نجاه أيضاً وأرسل على معسكر أهل مكة ريحاً شديدة اقتلعت خيامهم وأكفأت قدورهم فسارع أبو سفيان ومن معه بالهروب إلى مكة ، وقد ذكر سبحانه فى كتابه العزيز غزوة الخندق فقال :

**( يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً**

---

(١) سورة المائدة آية ٨٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٨٩ .

**وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا — إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديد . . )**

الآيات إلى أن يقول :

**( وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً * وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا )** (١)

وكانت نتيجة هذا الصراع جلاء اليهود جميعاً من المدينة بجميع قبائلهم إلى خيبر وقتل بعضهم جزاء غدرهم ونقضهم للعهد وخيانتهم :

**( ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب )** (٢) .

وكتب الله عليهم أن يتيهوا فى الأرض ويعيشوا مشتتين فلا تكاد توجد دولة فى العالم إلا وتوجد فيها جالية منهم يقيمون فى أحياء خاصة بهم لا يخالطون المواطنين ولا يسكنون معهم ليكونوا فى مأمن من كشف خططهم ومؤامراتهم ، وعداوتهم للإسلام ليس لها حدود ولا زمن تنتهى فيه بل هى دائمة ما دامت السموات والأرض . وأخيراً رأوا أمريكا أقوى دولة فى العالم فلجأوا إليها واتخذوها مطية لتنفيذ خططهم وتحقيق آمالهم ، وخطرهم ليس قاصراً على المسلمين بل يمتد إلى المسيحية والعالم أجمع ، وتزعمت أمريكا الصليبية والصهيونية فى كل بقاع العالم .

وأعظم مظاهر عداء الصهيونية حالياً ضد الإسلام احتلالهم لأراضى فلسطين وإنشاء دولتهم المؤقتة فيها للانقضاض على دول أخرى ، وأمريكا وبعض الدول الأخرى الغربية تمدهم بالمعونات من رغيف الخبز إلى الصاروخ ، واعتبرتهم ولاية من الولايات

(١) سورة الأحزاب آية ٩ — ٢٧ .

(٢) سورة الحشر آية ٣ ، ٤ .

الأمريكية ولاتزال قضية الشعب الفلسيطيني المشرد هي القضية الأولى لدى الدول العربية والإسلامية منذ نصف قرن ولولا أمريكا واستعمالها لحق الفيتو في كل ما يمسها من أذى لما بقيت قضية فلسطين معلقة بلا حل ولما بقيت مخالب الذئب تنهش قلوب العرب والمسلمين ولما تحول الشعب إلى لاجئين محرومين من أرضهم وديارهم وإنشاء دولتهم ، والذين آثروا البقاء ومقاومة الطغيان يستشهد منهم الكثير كل يوم بمدافع الجنود الإسرائيليين وطردهم إلى خارجها وهدم منازلهم ابتغاء إطفاء شعلة الانتفاضة الباسلة ورغم كل هذه الوسائل الجهنمية فلا بد لليل أن ينقشع ويزول الظلم والظلام ويشرق فجر النور ، وتتحقق الآمال ، وتقوم دولة فلسطين فنبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه يقول : ( لتقاتلن اليهود ولتنصرن عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم خلفي يهودي فتعال فاقتله ) .

## ثالثة الأثـــافى الشيوعية

بدأت الشيوعية فى الظهور على المسرح العالمى فى بداية القرن العشرين سنة ١٩١٧ م بعد قيام الثورة فى روسيا ضد القيصر وإعدامه مع أسرته وإعلان أهدافها من نزع الملكية من أفراد الشعب واعتبارها كلها ملكاً للدولة ، والشعب ما هو إلا مسامير فى الآلة الشيوعية ، ليس له إلا العمل والقوت الضرورى للحياة ومن لم يعمل فليس أمامه إلا أسبيريا ليموت فى جليدها وثلوجها .

ولم يقتصر شر الشيوعية على بلادها وداخل ممتلكاتها ولم تقتصر كذلك على محاربة الإسلام والعمل على إبادة المسلمين وإنما ألغت كل الأديان السماوية وكفرت بالإله واعتبرت الأديان أفيون الشعوب وأنها لاتؤمن إلا بما تراه وتلمسه ، وبذلك انضمت الشيوعية إلى الصليبية والصهيونية فى كل ما يؤدى إلى إضعاف الإسلام والقضاء على المسلمين فاعترفت بإسرائيل بعد اعتراف أمريكا بها بثمانى دقائق وأمدتها بالمهاجرين اليهود ليكونوا جنوداً لها فى حروبها مع العرب والمسلمين ، وابتلعت فى آسيا جمهوريات إسلامية وانضمت عنوة إليها وهى جمهوريات : التركمان وأذربيجان وقرغيزستان وكازاكستان وتاجيق وأوزبك، وبعد أن كان المسلمون فى أكثر هذه الجمهوريات الست يمثلون ٩٥٪ من السكان تحولوا إلى أقلية وهدمت أكثر من عشرة آلاف مسجد وأربعة عشر ألفاً من المدارس وأحرقت المصاحف واعتقلت الملايين منهم .

ولكن عين الله لاتغفل فقد بدأنا فى هـــذه السنوات نسمع أن شعوب هـــذه الجمهوريات الإسلامية وغيرها من الولايات الروسية بدأت تفيق وتستيقظ من أحلامها ومن أوهامها فى الفردوس الذى وعدتهم به الشيوعية ، وما هى إلا سراب زائف وسحاب لا يمطر ، وبدأت المظاهرات الصاخبة تنادى بالحرية والانفصال والاستقلال الذاتى وتتهاوى المطارق على رؤوس الزعماء والحكام وترفع الدول التى احتلتها رؤوسها ، ونشرت فيها مفاسدها وتتفلت من قبضتها الحديدية وتحطم أغلالها

وسلاسلها واضطرت روسيا ثانى دولة فى القوة إلى أن تنسحب هاربة من مستنقع أفغانستان المجاهدة ويرجع أكثر من مائة ألف جندى إليها مجرجرين ثياب الخيبة والهزيمة ، وصدق نبينا صلوات الله وسلامه عليه فى قوله : ( إن الله ليمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ) .

ونكتفى بما ذكرنا عن الثالوث الجهنمى الصليبية والشيوعية والصهيونية وسعيهم لإبادة المسلمين ، والمسلمون لايكادون يشعرون بإخوانهم فى الدين ويكتفون بالمؤتمرات والخطب والتصريحات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله [1] .

---

(١) أخذت كثيرا من هذه المعلومات من كتاب ( محنة الأقليات المسلمة فى العالم ) للأستاذ محمد عبد الله السمان بتصرف وايجاز .

## شيخ الأزهر والبابا شنودة يقولان
## ليس فى مصر متطرفون

بتاريخ العاشر من شهر يولية سنة ١٩٨٩ م التقى وفد الطلبة الأمريكان بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق بمكتبه ودار بينهما حوار طويل نقتطف منه ما يأتى .

سألته طالبة أمريكية وقالت : ما رأى فضيلتكم فى أهم وأصعب المشاكل الأخلاقية التى يواجهها الشباب فى مصر الآن ؟

فأجاب فضيلته بقوله : إذا كان السؤال يعنى ما يطلق على الحوادث التى نسبت إلى من يقال لهم : ( الجماعات الإسلامية ) فأولا لا يوجد فى مصر ما يمكن أن نسميه ( تطرف إسلامى ) إطلاقاً ، لا يوجد هذا ، إنما يوجد من يمكن أن يطلق عليهم : ( المتشددون فى تأدية الإسلام إلى الغير ) وما يقع من بعض الشباب هو قلة لا اعتبار له إطلاقاً ، والأمر كله سوء فهم لنصوص الدين ، بعضهم يفهمها ويأخذها بنوع من التشديد وبعضهم يأخذها بالطريق الطبيعى الوسط الذى ينبغى أن يكون .

وبتاريخ ٢٠ - ٨ - ١٩٨٩ نشرت صحيفة الأهرام حديثاً لمندوبه مع البابا شنودة قبل سفره إلى الخارج بيوم واحد قال : سيسأل سيادتك الكثيرون ويقولون : ما هو الموقف بالنسبة للوحدة الوطنية فى مصر من منظور المعايشة وبحكم مسئولية الموقع ؟ أجاب سيادته : أولا ما أحب أن يعرفه أبناؤنا فى الخارج أن ما يسمعونه عن التطرف فى مصر بالغ فيه ، والواقع مختلف ، التطرف هو الطابع الغالب ولكنه محصور فى أقلية ، ثم إنه لايجد تعاطفاً كبيراً كما يردد البعض بل يقاومه رجال الفكر ولاتوافق [illegible] ، وهو لايمثل مصر بجملة ، فمصر فيها الأخوة والمودة وليس فيها مشكلة [illegible] تكون فيها بإذن الله ، ويجمع الأقباط والمسلمين صداقة ومحبة ، وكنائسنا [illegible] تستقبل كل يوم زائرين من قيادات المسلمين . وبينى وبين فضيلة الإمام

الأكبر ووزير الأوقاف ومفتى الجمهورية مودة كبيرة ، وأحب أن يعرف الجميع فى كل مكان من المهجر أن التطرف ينحسر فى مصر ولايشكل خطورة ، وأننا سنعيش كما عشنا مئات السنين تربطنا روابط أخوة ومحبة أبناء وطن واحد ارتوى بدمائنا وشيدنا كل ما فيه بأيدينا معاً هكذا كنا وهكذا سنبقى .

وبعد هذين الرأيين من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والمسلمين ، وسيادة البابا شنودة — وهما المختصان بالفتوى فى الأمور والأحكام الدينية وتصريحهما بأنه لايوجد بمصر متطرفون ، لا ينبغى لأى إنسان عاقل أن يسمع لأى مسئول مهما كان وضعه إذا قال بغير هذا .

وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين

**ابراهيم أحمد الوقفى**

٢٠ من صفر سنة ١٤١٠ — ٢٠ من سبتمبر سنة ١٩٨٩

# مسرد الموضوعات

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |
|  |

## كتب للمؤلف

١ — تلك حدود الله ( ٣٠٠ صفحة ) .
٢ — الله فى الأديـــان الثلاثة .
٣ — موجز الكلام فى شرح عمـــدة الأحكام .
٤ — وبالوالدين إحسانا .
٥ — التوجيهات فى العبـــادات .
٦ — الموجز الوافى فى الميراث والوصية الواجبة .
٧ — النحو الجـــديد ( ٣ أجزاء ) .
٨ — تبسيط الاجـــرومية .
٩ — وعاشروهن بالمعروف .

## كتب تحت الطبع

١ — أبغض الحلال إلى الله ( الطلاق ) .
٢ — المؤمنون حـــقاً .
٣ — وعبـــاد الرحمن .
٤ — قل تعالوا اتلو ما حرم ربكم عليكم .
٥ — وإن تعدوا نعمـــة الله لاتحصوهـــا .

رقم الايداع ٤٨٨٣ / ١٩٩٠